قصــة الـثــورة كــامـلـة

بقـلـم الـرئـيـس
أنـــور الـــســـادات

مقدمة

بقلم أنور السادات

كنت أكتب وأروى للشعب قصة ثورتنا، وفى كل مرة كنت أسرد للشعب– وليس لغيره– حقيقة واحدة وهي أن الثورة لم تقم إلا من أجل شئ واحد... من أجل أن يحكم الشعب نفسه بنفسه.

ورويت للشعب كل الحقائق... قلت إن الثورة ألغت الأحزاب، وأسقطت الدستور، لأنها ثورة وليست انقلاباً ثورة تستهدف إقامة نظام ديمقراطي صحيح، لا نظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه ومضيت في حلقات عديدة أروى للناس فى مصر وباقي الوطن العربي حكايتنا.

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم قام الجيش ليضرب ضربته، وكان العرض من "فاروق" الملك السابق... يطلب منا فيه تأليف الوزارة فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة.

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية، تلك الفكرة التى كان السيد "سليمان حافظ" يدعونا إلى تنفيذها فى كثير من الأحيان كانت أهدافنا– إذن واضحة ومحددة وأصررنا عليها ولم نتراجع... وتلك الأهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان، هى إقامة نظام ديمقراطي سليم مستمد من حاجات الشعب، ونابع من مصالحه... لا من حاجات الإقطاع والمستغلين والأرستقراطية العربية التى تريد أن تعيش عالة على الناس وجهدهم.

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التي تراها فى الصفحات الآتية، عن العقبات التى صادفناها، وعن المؤامرات... وعن الذين وقفوا فى الطريق، ليعطلوا زحف الثورة العربية فى مصر، وكيف أننا كنا قد قررنا أن يكون الزحف أبيض، وأن يكون بلا دم: حتى إذا اعترض الزحف قاطع طريق، كان حتماً إذن أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية... فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين العرب الذين في الأغلال.

وفى الطريق مضينا والتقينا بكثيرين من الأعداء...الرجعية المتربصة بالبلاد... الأحزاب قامت فى كنف النظام الملكى الإقطاعي وفى حماية قوات الاحتلال...

والتقينا بالخونة والعملاء.. وبالانتهازيين وفلول النظام الذى أسقط.. كنا نريد أن ينتهى الزحف الأبيض على الأعداء فى ساعة واحدة، لا فى ثلاث سنوات.

لكن المسألة لم تكن فى يدنا.. فقررنا أن يستمر الزحف مهما كانت العقبات.. فنحن نعرف ما نريد، لم نكن نريد إلا إقامة النظم الديمقراطى.. لا العسكرى كما قال المزيفون.

ولقد حددت الثورة موقفها، ولم يعد أمام الشعب إلا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه.

إن التاريخ اليوم يسجل الانتصار الأكبر للثورة العربية فى مصر لم يعد أمام الشعب إلا أن يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على أعدائه، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية.

إن آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد, وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخاً، يحفظه الشعب بعد انطلاقه فلا جوع، ولا عرى, ولا ضياع فى كنف الحرية, والشعب اليوم قد حصل عليها.

إن الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكاناً فى ظله, والمجتمع سوف يصبح اشتراكياً, لا تفصل بين طبقاته أسوار عالية رهيبة, ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه إله ينحنى أمامه العبيد.

إن الحزبية كانت تصنع هذا كله... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الأحزاب, إلا الوعود ثم الخديعة.

أما اليوم.. فالبلاد بلادهم يملكون كل شئ فيها, بعد أن مهدت أمامهم الثورة الطريق.. وأزالت منه الصخور والأشواك.

كنا نقول دائماً للمزيفين: نحن لسنا صناع استبداد, فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعنى ما نقول, وكنا قد حددناها ليس من أجل البطش بالشعب فتلك ليست صناعتنا... بل أوجدناها للقضاء على الزيف, على التركة العفنة التى خلفها لنا نظامهم الباطش, القائم على أعمدة الاستعمار والإقطاع والاستغلال الأرستقراطية المتعالية.

وكانت حتماً على الثورة أن تقوض أركان ذلك النظام, قبل أن تفتح الأبواب أمام الشعب لينطلق نحو مستقبله, كان حتماً على الثورة أن تحدد فترة للانتقال... يتم خلالها تطهير

الأرض من الأردن, فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمناً لا تحوطـــه مـــؤامرة أو تتـــربص بـــه الخديعة.

إن التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والإرهاق والـــضياع, يطويهـــا ليفـــتح صفحات أخرى, يسجل فيها بدء حياة جديدة لشعب منتـــصر, متحـــرر, كـــريم, أراد أعـــداء الإنسانية وقف زحفه فهزموا... وتشتتوا... واجتاحهم الطوفان الكبير!

لا حزبية...

فالشعب هو الحزب الكبير...

لا زعامات مصنوعة...

لا زيف ولا باطل...

بل مجتمع اشتراكى متحرر وحكم قومى لا يشوبه طغيان قلنا هذا الكلام مرات عديدة... قلناه تحت هذا العنوان الجليل لكن المزيفون كانوا دائماً يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من أعماق الشعب.

واليوم.. ماذا سيقول المزيفون, بعد أن أصبحت البلاد ملكاً خالصاً لأبنائهـــا... لكـــل الأبناء؟!

ماذا سيقول المزيفون... والشعب منطلق... والشعب منتصر؟!

إن الرئيس المعلم "جمال عبد الناصر" قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار...

صيحة تحمل الأمل الكبير المضىء للشعب, النذير لأعدائه...

فمن أراد أن يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاتـــه فوارق شاسعة...

من أراد الحياة التى تمجد الإنسان وتخدم إرادته وعمله وكفاحه...

من أراد الحرية والعدل والحق...

من أراد الشرف والعمل الكريم والأمن والرخاء...

من أراد أن يمضى فى طريق لا يعترضه فيه باطش أو مستغل أو مستبد...

من أراد أن يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية...

من أراد أن يرفع رأسه بين العباد...

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلوا شاكرين لله القادر العادل على رعايته التى حمت الثورة العربية المصرية حتى أتمت زحفها الكبير...

أنور السادات

الفصل الأول

ما هى السياسة

وما هى الديمقراطية

ما هى السياسة ؟

هل هى علم يدرس, مثل الميكانيكا, أو مثل الطب والكهرباء, فينبع الأذكياء ويتبحر فيها ذوو المواهب, ويمارسها أصحاب الكفاءات ويعرف أسرارها خريجو المعاهد التى تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والكهرباء؟..

ولكى نناقش المسألة ببساطة أكثر أقول: هل السياسة مهنة أو حرفة يمارسها المــرء, مثلما يمارس أى عمل آخر, تخصص فيه وفهم قواعده؟

إذا قال لك أحدهم: إن فلاناً هذا سياسى داهية ؟ وألمعى لا يشق له غبار, فلا تــستمع على الإطلاق لهذا الكلام, لأن السياسة ليست حرفة يجيدها إنسان ويصبح عالماً بخباياها، بينما يفشل فيها آخر!

صحيح أنه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيها السياسة وعلوم السياسة, لكــن تلك المعاهد لا يتخرج فيها ساسة على الإطلاق... بل يتخرج فيها موظفون يحدد لهم العمــل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتاً لا يتغير, بينما العالم من حولهم يدبر شئونه ويغيــر مــن نظمه.

الساسة الحقيقيون:

فمن هم الساسة الحقيقيون ؟

إنهم الشعب....!

فالسياسة هى الحاجة... والشعور بالحاجة هو الذى يدفع المرء إلى الكفاح من أجــل تحقيق حاجاته.. فهنا تصبح المسألة سياسة!

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنها أن تحدد حاجات الناس... الذى يحــدد هــذه الحاجات هم أصحاب الحق فيها!

وعندما يقود أحد أبناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية مثلاً وينجح فى قيادته تلك, ويحقق الانتصار دوماً فليس معنى هذا أن ذلك الزعيم سياسى لا يشق له غبار, وعالم متبحر أزرق الناب, معنى هذا أن هذا القائد يعرف حاجات الشعب الذى يقوده، ويعــرف مــصالحه ويعرف أعداء هذا الشعب الذين يقفون فى طريقه.

ومعرفة الحاجات والمصالح والأعداء لا تحتاج إلى دراسة فى معهد أو دبلـوم مـن الجامعات... بل تحتاج فقط إلى العيش وسط المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومى من أجل الرزق.. أى يجب أن يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل أغلبية هذا الشعب, وتمثل حاجات ومصالح وأهداف هذه الغالبية التى عاش بينها ومـارس معهـا الكفـاح اليـومى... فـشعر بمشاعرهم, وفهم أهدافهم, وآمن بها لأنها هى نفسها حياته هو...!

فإذا أراد تحقيق هذه الحاجات, وسعى إلى تلك الأهداف ومضى حتى النهاية فى هـذا الطريق فهنا... وهنا فقط يقال: إن فلانا هذا.. سياسى...! أى أنه يعمل من أجل الشعب...

السياسة هى الشعور بالحاجة:

السياسة– إذن– هى الشعور بالحاجة, وممارستها لا تكون بتلقى العلـوم عنهـا فـى المعاهد والجامعات, بل تكون بالرغبة والإصرار والنضال من أجل تحقيق حاجات النـاس... أى الثورة...!

فقبل 23 يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم إنهـم زرق الأنيـاب وساسة دهاه تلقوا علوم السياسة فى جامعات أوربا ومعاهد لندن وبالرغم من هذا لم يـستطع هؤلاء أن يصنعوا شيئاً واحداً... هو العمل جنباً إلى جنب مع أعداء البلاد...!

فهم– إذن– كانوا خونة زرق الأنياب وليسوا هو لم يشعروا بحاجات الـشعب، ولـم يؤمنوا بالشعب...!

هل عرفت ما هى السياسة....؟!

إنها الحاجة...

فإذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى النهاية فأنـت سياسـى... أزرق الناب, ولا يشق لك غبار!

ما هى الديمقراطية ؟

أغلق على نفسك الباب, وانفرد بنفسك دقائق قليلة، ثم وجه إليها هذا السؤال: ما هـى الديمقراطية ؟!

لكن قبل أن تفعل ذلك نود أن نعرف من أنت ؟!

فربما كنت فى تلك الفئة التى لا تعنيها الديمقراطية على الإطلاق، بل الذى يعنيها هو تغليب مصالحها على مصالح أغلبية الشعب...

بصراحة يجب أن لا تكون إقطاعياً.. أو من حملة الرتب... باشا... مثلاً...

ويجب ألا تكون من حكام أسرة "محمد على"... والإنجليز.

ويجب ألا تكون منتمياً إلى الفئة التى استفادت من وجود الاحتلال, ومن وجود الباشوات ومن وجود الرجعية... أعنى أعداء التطور!

وأخيراً لكى تجيب على هذا السؤال إجابة صحيحة دون أن تخطئ أو تتجنى, عليك أن تكون أحد أفراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضى... أى تمثل غالبية الشعب.

بعد ذلك حاول أن تجيب عن السؤال... ما هى الديمقراطية ؟!

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد عملاً...

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد علاجاً...

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الفلاح المريض الكادح المعروق...

الديمقراطية بالنسبة لك أيها العامل المتطلع إلى الضمانات والمكافأة المجزية ؟!

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الموظف صاحب الأسرة, وصاحب الآمال العديدة فى التعليم والصحة والأمن...؟!

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التى استغلت, لمصلحة أفراد قلائل عاشوا فوق أرضنا خونة ومترفين وخاملين ومخادعين...!

أجل... ما هى الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب...؟

هل أجيب أنا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة أيها العامل, وأنت يا فلاح، ويا طالب الحق المسلوب ؟!

الديمقراطية بالنسبة لكم هى تحقيق مصالحكم، لا مصالح الأقلية..

الديمقراطية هى انتزاع الحقوق المسلوبة, واسترداد الأرض من غاصبيها...!

الديمقراطية هى التخلص من القيود, تلك كانت فى رقابنا, وحول أذرعنا وعقولنا أيضاً...!

الديمقراطية هى استقلال الوطن, وسيادة الأمة, والمساواة، والعدل, هى تقرير المصير...!

وفى اللحظة التى قامت فيها ثورة 23 يوليو, كانت الديمقراطية هى الطريق, طريق هذه الثورة الذى اتجهت إليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وإيمان..

لأنها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة، بل هى نفس الثورة العربية- المصرية- التى قامت من قديم, وهدفها التخلص من أعداء الشعب وإقرار الحق والعدل والمساواة, وسيادة الأمة.

نحو الديمقراطية:

من أجل هذا مضت الثورة العربية فى مصر بعد انتصارها فى 23 يوليو بخروج الجيش إلى المعركة... جنباً إلى جنب مع الشعب.

أقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد.

وكان عليها لكى تحقق هذه الديمقراطية, ولكى تعلن الدستور المتضمن نصوصها وأسسها جميعاً، أن تتخلص أولاً من أعداء الديمقراطية أى أعداء الدستور، وهم أعداء الشعب...

وكان العدو الأول هو الملك.. بل هى الأسرة التى كانت تحكم...

وانتصرت الثورة على العدو الأول... وبهذا أرست الثورة أولى قواعد الديمقراطية...

ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثانى للثورة... بل للديمقراطية، أما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الإصلاح الزراعي... وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى سيسود البلاد, بعد فترة الانتقال وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته وازدهاره...

ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى إلا إيماناً بالديمقراطية، والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر العربية.. ذلك لأن الحلف العسكرى

كان سيجعل الشعب وأرض الشعب وموارد الشعب فى خدمة مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها...!

وفى ظل الحلف العسكرى المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة, والديمقراطية من المحال إرساء قواعدها وتحقيق مضمونها, إلى فى الدول التى لا تخضع لسيطرة أجنبية, أو لتوجيه من خارج حدودها...!

إصرار الثورة إذن بل موقفها من الحلف العسكرى، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال، وبالتالى حماية مصالح الشعب...

ويوم أن أعلن الرئيس المعلم "جمال عبد الناصر" عن صفقة الأسلحة المشهورة، لم يكن ذلك يعنى أن جيش مصر العربى قد زاد عتاده، أو أن جيش مصر العربى قد أصبح أقوى الجيوش... بل كان معنى ذلك أن "جمال عبد الناصر" يعد البلاد للحكم الديمقراطى على أسس متينة قوية...

لقد واجهت الثورة مشكلة تسليح جيش الشعب بعزم مستمد من إرادة هذا الشعب ومن وحى أهدافه.

طلبت الثورة السلاح لجيشها من أمريكا ومن إنجلترا, ومن فرنسا ومن كل مكان، ورفضت أمريكا وساومت وترددت إنجلترا, ثم أعطت وعوداً لا حصر لها...

وفى نفس الوقت أعطوا إسرائيل ما تريده من سلاح...!

كان السلاح هو "الكارت" الأخير فى يد الدول الكبرى, للضغط على مصر, ومحاولة السيطرة عليها والتمكين لنفوذهم فيها.

ومعنى ذلك أن مصر كانت ستخضع للسيطرة الأجنبية, ثم التدخل والتوجيه من الخارج. وبهذا يصبح من المحال أن تحقق الثورة العربية فى مصر هدفها... وهو الديمقراطية الصحيحة.

ويوم قرر القائد المعلم "جمال عبد الناصر" أن يحرق هذا "الكارت" الذى تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا ويوم أن قرر شراء السلاح بدون قيد ولا شرط, من الدول التى قبلت بيع كل ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط... بلا بعثات عسكرية ووثيقة أمن متبادل, وخضوع لما تمليه مصالح الأجانب، فى هذا اليوم سجل التاريخ "لجمال عبد الناصر"

خطوة أخرى كبيرة فى الطريق الذى يسلكه لإرساء قواعد الديمقراطية فى بلاده! لقـد كـان معنى عدم تسليح الجيش والوقوف إزاء مناورات الدول الكبرى موقفاً سلبياً هـو أن الثـورة العربية فى مصر لن تجد السلاح الذى تحمى به أهدافها... ثم حدودها التى تتاخم حدود أعداء اعتدنا منهم الغدر والضعة والأطماع!

صفقة الأسلحة إذن، التى عقدتها مصر بلا قيد ولا شرط مع دول أخرى لم تناور ولم تحاور, حطمت بها الثورة التدخل الأجنبى والسيطرة الأجنبية والمناورات كلها فى وقت واحد وبضربة واحدة... ومعنى ذلك هو أن الثورة العربية تمضى فى طريق الديمقراطيـة... وإلا فكيف كانت الديمقراطية ستجد أرضاً تنبت فيها وتزدهر, وهذه الأرض لا تحميها قوة تفـوق قوة الأعداء المتربصين بهذه الأرض... والطامعين فى السيطرة عليها...!

وبعد هذا... بعد القضاء على أسرة "محمد على" وبعد جلاء القـوات المحتلـة وبعـد القضاء على الإقطاع, وبعد إبعاد السيطرة الأجنبية برفض الحلف العـسكرى, وبعـد حـرق "الكارت" الأخير فى أيدى الدول الكبرى للضغط علينا بعد صفقة الأسلحة وبعـد أن أصـبح لمصر العربية جيشها الوطنى القوى الذى سيحمى الحدود والأهداف... وثورة الشعب, أعلـن "جمال عبد العناصر" الدستور الجديد للجمهورية العربية المصرية...

لا ديكتاتورية

لا ديكتاتورية إذن ولا تحكم فرد, ولا سيطرة لطبقة علـى طبقـات ولا مـصلحة إلا مصلحة الشعب...!

إن الخطوات التى تمت خلال أعوام الانتقال لم تكن لتمهد على الإطـلاق إلا لـشىء واحد... هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء! وإلا فما معنى أن تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحو التقدم والتحرر؟!

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والأجانب والخونة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب؟!

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق؟

أم لكى يفسح الطريق للسيطرة الأجنبية والتدخل فى شئون الشعب...

إنها خطوات تمت للتخلص من كل هذا, والقضاء على كل هذا...

لأن الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب...

هل عرفت إذن ما هى الديمقراطية ؟!.. أنت أيها العامل ويا فلاح, ويا صاحب الحاجة, ويا طالب الرزق والعلم والصحة والأمن ؟!

افتح إذن الباب واخرج إلى الطريق, فلن يقطع عليك الطريق عدو من هؤلاء الذين بطشوا بك فى الماضى...

لا سبيل أمام الأعداء للبطش بك أو بحقوقك فى كنف النظام الجمهورى الديمقراطى!

الفصل الثانى

الثورة والديمقراطية

الديمقراطية المظلومة:

عاصرت كما عاصر أبناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى, بل حتى اليوم...

ففى الماضى كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطى..

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة... وكيف أن الملايين من أبناء هذا الشعب كانوا لا يجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية- من جميع الأحزاب والرجالات والزعماء- على إنفاق مليون ونصف المليون من الجنيهات على إصلاح وتزويق مركب يسعد فيها "فاروق" بالسفر والرحلات... لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الأغلبية حينا والأقلية حيناً آخر...

وبعد أيها القارئ.. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟..

وكان "فاروق" الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها بوساطة خادمة الأمين... ولذلك رأينا حكامنا الأفاضل يحنون الجباه لهذا الخادم... بل إن واحداً من أولئك الرجال- وهو "مصطفى النحاس", الذى كانت البلاد تأمل أن يكون على يديه الخلاص فى يوم من الأيام- لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى- فى نظره- بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبل يده- وهو زعيم الأغلبية فى ذلك الوقت- والذى أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزاً ساحقاً... ثم اتبعها بما لا يخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان إلى كابرى- حيث يلهو فاروق- وطلب من المصريين أن يتوجهوا إلى هذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء...

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية... عاصرناها جميعاً وانتهت بهذه البلاد إلى الدرك الذى كاد يودى بكل شئ فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ؟

وفى الماضى القريب بل القريب جداً سمعت وسمع معى الشعب بأكمله محاكمات محكمة الشعب على لسان أقطاب جماعة الإخوان المنحلة..

فقد قاموا يدبرون انقلابا دامياً مسلحاً بالقتل والنسف والخطف, وحين أراد أحدهم أن يبرر هذا العمل قال إنه فى سبيل إقامة الديمقراطية!.. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها

جهاز سرى على رقاب العباد من أبناء البلاد... تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لـصالح رجل واحد- هو المرشد العام المقدس...

وكان أبرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ إليه "محمد نجيب" حين أراد أن يبرر سـبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير عام 1954, فراح يؤكد أنه كان ينادى بالديمقراطيـة ومجلس الثورة بأكمله لا يريد الديمقراطية...

والعجيب أن التفسير أنطلى على كثيرين وأصبح "نجيب" فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم...

وإنى لأذكر جيداً كيف أنه بعد أن عاد "نجيب" فى فبراير عام 1954 وكنا قـد بلونـا طريقته فى أن يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر, ثم يخرج فيشيع فى كل مكان أنه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت, بحيث أخرج الإخوان وقتها أسطورة الأب الشفوق الرحيم وأظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن "نجيب" يوم أن صـدر قرار محكمة الثورة بسجن "فؤاد سراج الدين" بطل من أبطال الوطنية... ثم جاء إلى مجلـس الثورة وكان إمضاؤه على التصديق أول إمضاء تجدونه محفوظاً لدى المحكمة إلى يومنا هذا.

أقول كنا قد بلونا طريقة "نجيب" هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا, وإنما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلـس معنـا الوزراء جميعاً فقد كانت الأحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك.

وأذكر جيداً تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولها يوم أن جاء "سليمان حافظ" إلى "جمال عبد الناصر" بما سـماه طلبـات "محمـد نجيب", وقد كانت تتلخص فيما يأتي:

1. حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع إعطائه الحق فى حضور جلساته.
2. حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع إعطائه الحق فى حضور جلساته.
3. حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة ومـا يماثلهـا مـن بـاقى الوحدات.
4. جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته.

5. على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وأن يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم.
6. ألا يرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحداً لرئاسة الجمهورية غيره, وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية.

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر "محمد نجيب" وعرض "سليمان حافظ" هذه الطلبات على المجتمعين، وتكلمنا أمام الوزراء فى أن هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية "فاروق" "الحاكم الديمقراطى" وأننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الأمر بالبلاد إلى دكتاتورية "محمد نجيب" أو أى شخص خلاف "محمد نجيب".

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر "محمد نجيب" لكى تناقش هذه الأمور معه. فقام "سليمان حافظ" إلى التليفون واتصل "بمحمد نجيب" وأبلغه رغبة المجلس فى أن يحضر, وحضر فعلاً.

وبدأت المناقشة من جديد بحضور "بحضور "محمد نجيب".

وتكلم "جمال عبد الناصر" وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد "محمد نجيب" فرضها واستحالة الموافقة عليها وأنهى كلامه بأن هناك أحد حلين لا ثالث لهما:

الأول: أن يعود "محمد نجيب" إلى رئاسة مجلس الثورة وتسير الأمور كما كانت على شرط أن تنتقى الأسباب التى من أجلها قبل المجلس استقالة "محمد نجيب" فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها "لسليمان حافظ".

الثانى: إذا لم يقبل ذلك "محمد نجيب" فالمجلس لا يقبل بتاتاً هذه الديكتاتورية, ويكون الأصوب بدلاً من أن تجرى انتخابات فوراً وأن تسلم البلاد إلى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد أن حطمناها.

وهنا يجب أن أقف قليلاً...

فقد رفض "محمد نجيب" أن يعود أول الأمر إلى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة أن هذا المجلس مكروه. أيضاً أن يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله "سليمان حافظ"...

أما فيما يختص بالحل الثانى, فقد طلب أن يناقشه قبل أن يبدى رأيه فيه ولمـا طلـب تفصيلات عن هذا الحل قال "جمال عبد الناصر": "إن هذا الحل يعنى أننا يجب أن نعلن اليوم إنهاء الأحكام العرفية, وإباحة تشكيل الأحزاب وترك كل شئ كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم".

وهنا استفسر "محمد نجيب" عن وضعه فى هذا الحل فقال له "جمال": سيكون كوضعنا تماماً, فسوف نعتزل الحكم, ومن يريد أن يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحـد حر...

وهن ظهرت براعة "نجيب" كبطل من أبطال الديمقراطية.

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل, وطلب مناقشة حل فرعى آخر هـو أن يحـتفظ برئاسة الجمهورية وأن يشكل وزارة مدنية برئاسته أيضاً إلى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة, ولكن بشروطه التى طلبها وهى أن يكون له حق الفيتو على قراراته.

كان "نجيب" يطلب هذا فى الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه أن موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان.

وهذا تفسير جديد للديمقراطية..

فكل ما كان يعنى "نجيب" هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معاً إلـى يوم القيامة, حتى ولو كلفه هذا أن ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكـى يصبح فى نظرهم بطلاً من أبطال الديمقراطية فى سبيل الوصول إلى أغراضه...

هذه ألوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة؟...

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذبا حكومة ديمقراطية أم حكومة ديكتاتوريـة أم هـى نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟...

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية ؟

حديث الديمقراطية طويل, وهو حديث الناس جميعاً اليوم بلا جدال ولكن كانت هنـــاك إشاعات تستهدف إثبات أمر معين, وهو أن الديمقراطية لها أعداء فى مصر, وأن مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحد...!

الناس جميعاً يطلبون الحرية, ونحن فقط ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها!

"جمال عبد الناصر" وكل واحد من أعضاء المجلس, ليس إلا ديكتاتورا تتلمــذ علــى الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة!

أليس هذا هو ما يريده تجار الإشاعات ؟

ويا له من موقف تاريخى عجيب!

إن الحريات وكل مقومات الديمقراطية قد ضاعت من الشعب العربى فــى مــصر.. اغتصبها منه "جمال عبد الناصر" ورفاق "جمال عبد الناصر"! كان الشعب حراً فاستعبد..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء "جمال عبــد الناصر" ورفاقه يوم 23 يوليو المشهود من عام 1952, وفى ذلك اليوم من العام المذكور تــم تجريد الشعب العربى المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العــيش واستقرار الحال!

كانت فى مصر قبل 23 يوليو ديمقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيداً حراً, ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة, ويجد الملايين من أبنائه فرصاً متساوية, وكانوا جميعاً ينعمون فى ديارهم بتلك الديمقراطية, ثم جاء 23 يوليو فكان يوماً مشئوماً فقد فيه الشعب كل شئ!

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق... لأن الديمقراطية ذهبت وجــاءت الديكتاتورية.. جاء الطغيان والاستبداد.. والحكم المطلق!

أليس هذا هو ما يريده تجار الإشاعات من تصوير للموقف ؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت..

ولكن لماذا نظلم التاريخ, والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما أن الذين يحكمون البلاد الآن لا يبيحون لهم ما كان يبيحه النظام الذى سقط.

نحن إذن أعداء للديمقراطية, كما هو واضح من كلام هؤلاء, ومعنى هذا أن الشعب العربى فى مصر لن يحكم حكماً ديمقراطياً, فإذا رفض فهو يناصب الديمقراطية العداء, ويريد أن يبطش بالشعب.

وجميل جداً أن يطالب أناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديمقراطية فهى حقوق مشروعة, يكافح الإنسان من أجلها, ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها.

لكن ما رأيكم يا طلاب الديمقراطية فى مصر.. ويا أبطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب العربى المصرى الذى جرده "جمال عبد الناصر" ورفاقه من كل الحقوق يوم 23 يوليو عام 1952, أقول ما رأيكم- دام فضلكم- فى أن الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست الحكومة بالمعنى المتعارف عليه.. بل هى ثورة!

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه: أن قيادة الثورة ليس لها وجود لأنها- أى القيادة- من المحتم عليها أن تحقق- هى- للشعب ما يطلبها بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى... لأنها ثورة كما قلت ليست حكومة!

ثورة لأنها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على أمر من "ولى الأمر" كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائماً!

بل تولت- هى- الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره.. قد فعلت!

ليس "جمال عبد الناصر" ورفاقه أعضاء حزب من الأحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا.

إن "جمال عبد الناصر" ورفاقه ليسوا حكاماً... بل قادة لثورة... والفرق كبير بين الثوار والحكام!

والثورة لها أهداف حققت بعضها... وباقى الأهداف سيتحقق قطعاً على مر الأيام... طالما أن الثوار يتولون زمام الأمور أقول الحكم.. بل إنى أعلنها أكثر صراحة أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه يمكن أن يقبلوا أى شئ ما عدا شيئاً واحداً.. وذلك الشيء هو إنهاء الثورة... قبل أن تتحقق كل أهدافها!

ولا أريد أن أكرر وأعيد فأتحدث عن أهداف الثورة... فقد تحدثنا عنها كثيراً جداً.. فلم تعد خافية على أحد!

ومن بين تلك الأهداف.. بل هدف الثورة الأخير وأملها الضخم هو إرساء أسس النظام الديمقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه وإذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديمقراطية ؟

وأقول إن الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن, الثورة تفسر الديمقراطية بالكفاح العملى من أجلها.

فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن, وترسى قواعد النظام الجمهورى... فتلك خطوة نحو الديمقراطية كان الشعب حتماً سيخطوها لو لم تقم الثورة فى 23 يوليو... وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن, ولكن القائد المعلم "جمال عبد الناصر" ورفاقه حقنوا تلك الدماء... باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام... سلمياً... أو بالقوة إن كان الأمر استدعى قوة!

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستعمار... ففى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديمقراطية يخطوها الشعب, وقد كان الشعب سيخطوها حتماً ذات يوم.. وكان سيضحى بالآلاف من أبنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت... لكن القائد "جمال عبد الناصر" ورفاقه وفروا على الشعب أرواح شبابه وأطفاله ونسائه وشيوخه... وتم جلاء القوات المحتلة– سلمياً– تماماً مثلما تم جلاء "فاروق" بنفس الطريقة.

بنفس الأسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى أى مكان من العالم أن اتبعته فى نضالها... إذ أن ثورة مصر العربية ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها.. والشعب أيضاً وقف معها!

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى والإقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم وقضت عليه– سلمياً– بلا دم, كان سيسيل فى القرى إذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الإقطاع فى عقر داره!

والثورة تفسر الديمقراطية بالوقوف فى وجه الأرستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والأساتذة والسماسرة.. وحالت الثورة– نهائياً– بين هؤلاء وبين الشعب! والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على التعصب وحكم السمع والطاعة.. أى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين لا باسم أى شئ آخر.

وقد حدث.. وتمت الخطوة الكبرى فى سبيل الديمقراطية

تلك خطوة الثورة التى فسرت بها الديمقراطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام الديمقراطى ؟!

لسنا شيوعيين:

تحدثت عن تفسير "الثورة" للديمقراطية وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب.

وقلت: إن "جمال عبد الناصر" ورفاقه ليسوا حزباً من الأحزاب التى تولت- أخيــراً- الحكم، ثم أصبح لزاماً عليهم أن يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ما قبل 23 يوليو.

قلت: إن "جمال عبد الناصر" ورفاقه وليسوا حكاما.

أى أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه- مادام هذا وضعهم- يصبح من المحال مطـــالبتهم بشىء معين له علاقة بالأوضاع التى يجب أن تسود البلاد ولا أعنى أنه ليس من حق أحد أن يطالبهم بشىء معين, لا بل أعنى أن مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه أمام واقع لا مفر منه, وهو الاستمرار فى قيادة "الثورة" التى قامت فـــى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية "قلـــب نظـــام الحكم القديم" واقتلاع جذوره من أرض البلاد... مسألة أصبحت ضرورة تاريخيـــة لا يمكـــن الخلاص منها لا بمنشور يحوى سباباً فى الثورة ولا بجهاز ســـرى يـــضم مجموعـــة مـــن المشعوذين.

وسأناقش هنا بهدوء تام, وبصراحة تامة أيضاً مسألة عودة الحياة النيابية والدستورية والحريات... الخ.

سأناقش موضوع الديمقراطية التى يزعم أبناء العهد الماضى وخدامه أن "جمال عبـــد الناصر" ورفاقه اغتصبوها من الشعب العربى المصرى يوم 23 يوليو عام 1952.

ولعل هذا التعريف يعجب بعض الناس الذين يتهموننا بالفاشية...

وأعود من حيث بدأت, فأقول إننا لسنا شيوعيين, بل لم نعرف ما هى معتقدات أتبـاع "ماركس" و "لينين" و "ستالين" بالتحديد. بالرغم من هذا فإنى أنقل هنا كلاماً قاله أحـد القـادة الشيوعيين, وذلك القائد يتزعم بلاداً تزيد مساحتها على مساحة أوربا مجتمعة... أعنى الصين عملاق أسيا الجبار...

وفى الصين قامت ثورة.. فكيف نجحت ؟!

هل لأن الذين قادوها من أتباع "ماركس" و "لينين" و "ستالين", أم لأنهم كانوا صـينين أولا وأخرا ؟

الرأى الأخير هو الصحيح... بدليل أن "ماوتسى تونج" نفسه عنـدما أراد أن ينـادى بمبادئ معينة لم يجد سوى مبادئ الزعيم الوطنى الصينى الكبير "صن يـات صـن"... ولـم يحدث أبداً فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف أفراد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هنـاك, وطالبوهم ببرلمان أو بدستور أو بحريات.

كانت كل الجماهير تتجه أولا وأخرا إلى اقتلاع جذور النظام القديم الذى حكمت بـه الصين آلاف السنين, ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية.

قال "ماوتسى تونج" وهو يوضح موقفه أمام الشعب الصينى:

"إن المجتمع الصينى الحالى مازال مستعمراً وشبه مـستعمر وشـبه إقطـاعى, وأن الأعداء الأساسيين للثورة الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الإقطاعية...

وبما أن واجبات الثورة الصينية هى أن تحقق الثورة الوطنية والثـورة الديمقراطيـة للقضاء على هذين العدوين, وبما أن القوى اللازمـة لهـذا العمـل تلقـى أحيانـاً مـساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة... ومع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها, إلا أن الثورة يجب ألا توجه ضد الرأسمالية على العمـوم أو ضـد الملكية الرأسمالية, وإنما ضد الاستعمار والاحتكار الإقطاعى, ونتيجة لهذا نجـد أن طبيعـة الثورة الصينية فى الوقـت الحـالى ليـست الاشـتراكية البوليتاريـة, وإنمـا الديمقراطيـة البورجوازية... وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين, وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة, ويجب على الصين, ولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها, وإذا لم نـصل إلى تحطيم الأحكام الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار... وإذا وضعنا فى اعتبارنا الموقـف

الوطنى والدولى, ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة, فإن الشعب الصينى سيصل نهائيا إلى النصر...

"إن وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى, لكن ذلك البؤس إذا كان يمثل القوى الباقية للظالمين فهو يمثل أيضاً إجرامهم الأخير, ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئاً, تلك هى الحالة فى الشرق... تلك هلى الحالة فى العالم".

أنتهى كلام "ماوتسى تونج"...

وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام, فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية...

وثورة الصين قامت بالدم... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة, ومات مئات الألوف من شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله.

كانت الدماء فى الصين تجرى كالأنهار فى السهول وفى القرى وحول المدن... وكان لابد أن يحدث هذا لكى تمضى الثورة الصينية فى طريقها المعلوم..

لأن القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات.

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد.. وتولى قيادتها مجموعة من ضباط الجيش.. فحقنت الدماء.. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم... وتولى "جمال عبد الناصر" رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيساً لحزب مصرى معين أو باعتباره رجلاً من رجالات السياسة... بل باعتباره قائداً للثورة العربية فى مصر التى قامت فعلاً فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر, كما حدث فى الصين ومن أجل هذا يخطئ الذين يطالبون "جمال عبد الناصر" ورفاقه بانتخابات أو بأى شئ... "فجمال" ورفاقه يمثلون الثورة العربية المصرية وليس الحكومة المصرية... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية.

ولكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة... وفى قيادتها... ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والإقطاعية والرجعية, وفى مصر كانت الثورة "سلمية" بيضاء... لأنها كانت مؤيدة بوقوف القوات العربية المصرية المسلحة معها... فإذا قررت

الثورة العربية المصرية تحقيق هدف من أهدافها حددته فى الحال, وعملت من أجله... فإذا لم يتحقق الهدف سلمياً, كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب!

وهكذا مضت الثورة العربية المصرية فى طريقها المحتوم.. فإذا وقف فى طريقها فرد أو جماعة وطالبوها- باعتبارها حكومة- بشىء ما... كان الوضع غريباً وشاذاً ويستحيل قبوله أو التسليم به... لأن قيادة الثورة هى التى تحدد ما تراه متفقاً مع مصالح الشعب لا مصالح أعدائه!

ولنتصور- مثلاً- "تشابنج كاء شيك" يقف أثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ...

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟!

هل يفسر بأنه موقف وطنى من "تشانج كاى شيك" ضد قوى الفاشية والديكتاتورية.. أم يفسر بأنه محاولة من "تشانج كاى شيك" لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟!

وبالرغم من أننا لسنا شيوعيين, فالموقف واحد فى الحالتين, موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة والرجعيين فى البلاد, الذين يريدون تصفية الثورة العربية المصرية بإجراء انتخابات فى الحال, وبدستور فى الحال, وبحريات فى الحال.. لكى يعودوا إلى أماكنهم.

وتلك الأماكن أبعدتهم "الثورة" عنها فكيف إذن تعيدهم مرة ثانية!؟

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة, والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت إلا من أجل القضاء على تلك الأوضاع!؟

وقد أوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديمقراطية, فقلت أن الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها.. تفسرها بالقضاء على الحكام الأغراب عن هذا الشعب والأرستقراطية المصرية الممثلة فى الباشوات والبكوات والأساتذة السماسرة, وتفسرها بإقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم, وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الإخوان المسلمين, وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد... لأنهم أغلبية الشعب!

ثم أخيرا تفسرها بإعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية.

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها "العلمية" للديمقراطية ستقرر فى الحال أن يحكم ا لشعب نفسه بنفسه لا "بالهضيبى" ولا "وبالبدراوى" ولا "بالنحاس" ولا "بسراج الدين".. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى تراث ما قبل 23 يوليو.

هذا هو تفسير الثورة للديمقراطية...

أما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديمقراطية فهو فى جملة واحدة العودة إلى الحكم!

تلك هى الديمقراطية فى رأيهم... العودة إلى الحكم أو يظل "جمال عبد الناصر" ورفاقه تلامذة للفاشين!

فكيف إذن يظهر "جمال عبد الناصر" ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين, وفى نفس الوقت يعمل "جمال" ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق!؟

حكم القصر و "البدراوى" و "سراج الدين" والمشعوذين حفظة سورة آل عمران ؟!

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشياً يستمد أفكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة, وأصبح "محمود أبو الفتح" تاجر الرأى والسيارات بطلاً شعبياً تماماً مثلما أصبح "حسن الهضيبى"!؟

هذا هو موضوع الفصل التالى.

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة وأصبح تجار الرأى والدين والوطنية أبطالاً للديمقراطية ؟!

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الأوضاع هكذا ؟!

وأين كان هؤلاء الأبطال قبل 23 يوليو؟

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان؟!

أين كان "محمود أبو الفتح", و"حسن الهضيبى", و"سراج الدين" و"النحاس" وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد 23 يوليو رمزاً للديمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه "فاروق" ؟!

لماذا لم يفعل "محمود أبو الفتح" مثلما يفعل الآن فى ربوع أوربا.. لماذا لم يقم الـدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والإقطاع والباشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد "حسن الهضيبى" جهازاً سرياً مسلحا ينسف به قصر عابـدين ورياسـة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه؟!

لماذا لم يترك "سراج الدين" سيجاره الضخم لحظة, ليصرخ فى الناس: قوموا لتحرروا مصر من هذا الإخطبوط الرهيب الذى يبطش بمصائركم ولماذا... ولماذا ؟!

لا توجد إلا إجابة واحدة على كل هذه الأسئلة... وهى أن حكم أسرة "محمـد علـى" والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنـه كـل هؤلاء الساسة وأذنابهم وأعوانهم وخدامهم...

أما اليوم فهم فى محنة... ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم, وبطشت بمستقبلهم, وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب!

واليوم هم أبطال الديمقراطية, ونحن أعداء لها!

فكيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى أقول إنى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة, وسـأحاول ضـبط أعصابى وأنا أسجل الحقائق.. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة إلى من يذكره بها.. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات, أقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبنـاء العهـد الماضـى يسموننا حكومة العسكريين, لا حكومة الثورة, ونترك أذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد... نحن أبعد ما نكون عن هذه الصفة, فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام... بل هو الشعب, ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى 23 يوليو, وعزلت ملك البلاد, سيد كل أبطال الديمقراطية المزيفة, وولى نعمتهم, وصانع مجدهم!

"سيد حسن الهضيبى" الديمقراطى الحر, و"سراج الدين" الدستورى العريق, و"محمـود أبو الفتح" البطل الشعبى الباسل.

وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد للحرية وللديمقراطية والدستور!...

أى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة.. وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد إذا ما سلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى وأصغينا إلى هذيان أفراده!.

أقول: كيف حدث هذا ؟.. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق ؟!..

إذن اسمعوا...

مرة أخرى أعود إلى الصين...

إلى حيث قامت ثورة, وتغير نظام.. وأقيم حكم جديد

وأحب أن أقول إننى اخترت الصين بالذات, لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا... مستعمرة, فيها حكام خونة وإقطاع واحتكار.. وذلك حفاة وعراة وجياع..

وعلى الرغم من أن الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا إلا أنهم– أى ثوار الصين– لم يصنعوا أكثر مما صنعنا... حتى الآن.. فزعيمهم يقول:

"إن الإصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطيـة الجديـدة للـصين" والإصلاح الزراعى فى الصين قضى على الإقطاع, ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر...

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم: أنتم طغاة... أنتم تريدون ديكتاتورية كانت ثورة الصين من يقول تبطش بأعدائها دوماً... وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالـدم والبـارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها... فالشعب معها, والشعب شـعر أنهـا قامـت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة!

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والإقطـاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعـه... ولكـن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفاً لوضع قادة الثورة فى الصين, فكان علينـا

نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة أن نتجاهل ما يقال عنا, وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا كنا نعتمد على الوقت... فالأيام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا... لا المعارك.

وأعود إلى الصين فأقول إنه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين إلا أن قادتها وجدوا من يقول عنهم إنهم طغاة ويريدون ديكتاتورية, إن الخبرة التى تكونت للشعب الصينى خلال عشرات السنين, تبين لنا ضرورة إقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير عن آرائهم, فالشعب وحده له حق التعبير, وحق التصويت, فمن هو هذا الشعب؟!

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفرحين, والبورجوازية الصغيرة, والبورجوازية الوطنية, وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل إقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار, ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه, فلا يسمح لهم بالتصرف إلا فى داخل حدود معينة, فإذا تجاوزوا تلك الحدود بالأقوال أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال, فلابد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب, فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم, ولا يعطى حق التصويت إلا للشعب دون الرجعيين... فالديمقراطية للشعب والديكتاتورية على الرجعيين. وإذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب وتفنى الدولة".

هذا ما حدث فى الصين...

والذى حدث فى مصر بعد 23 يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحاً يحمى الشعب من الرجعيين... وكان أول إجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد 23 يوليو هو عزل الحاكم "فاروق" فإذا كان طرد "فاروق" ديكتاتورية فليكن... ونحن نفخر بها.

ثم كان أن قرر مجلس الثورة إسقاط النظام الملكى وإقامة النظام الجمهورى فإذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما أعظمه وما أتعس الديمقراطية إذا لم تقف إلى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام.

وإذا كان القضاء على الإقطاع ديكتاتورية فما هى الديمقراطية إذن؟ قولوا لنا يا فلاسفة العصر ويا حكام الزمان!

إن الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها... كان لابد أن تحقق للشعب حاجاته, لابــد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية, ويستحيل أن تحقق الثورة أهــدافها– وهى بيضاء وليست دموية– إلا إذا أخلى الطريق أمامها من كل الأعداء..

فكيف يمكن إبعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟!

هل ببرلمان "سراج الدين" أو بدستور أحزاب الإقطاع أم بحرية الصحافة... صــحافة "أبو الفتح" والأحرار الدستوريين وبقية الأذناب؟!

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الأعداء... كما حدث فى الصين؟!

أعداء الثورة

تساءلت فى حديثى عن الطريقة التى كان يمكن بها إبعاد الأعداء عن طريق الثورة!

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضــع "البــدراوى" بالنــسبة للشعب, وكيف يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الــذين امتــصوا دمــاء الملايــين مــن المصريين؟!

فإذا وقفنا لحظة عند كل هذه الأسئلة عرفنا أن القائد المعلم "جمال عبد الناصر" ورفاقه كان عليهم بعد طرد "فاروق" أن يبقوا على دستور علام 1923, وهو دستور وضــع علــى أساس النظام الملكى الإقطاعى ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الــذين يمثلــون الأرستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها... وكان علينا أن نترك الأحزاب كلها بمــا فيها حزب "عبد الهادى" و "حسن الهضيبى", وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الأصل العريق جداً... "الأحرار الدستوريين"..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو إلى ما تشاء... ثم ماذا بقى بعــد ذلك؟!

بقى أن نعود إلى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الأشخاص الذين حكموها قبل 23 يوليو...

أى أن ثورة الشعب العربى المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة إلى "النحاس" و "سراج الدين" و "الهضيبى" و "إبراهيم عبد الهادى" وكل آفاق دعى يريد أن يصبح زعيماً بخطبه أو بوعد معسول!

أى أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه, وكل ضابط وكل جندى من الأحرار هؤلاء جميعاً ما قاموا بثورة 23 يوليو عام 1952, إلا من أجل "النحاس" و "الهضيبى" و "عبد الهادى" و"هيكل" وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلاً من قبل ولم يصنعوا ثورة, ولم يرفعوا عن الشعب ظلماً اجتماعياً ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضاً من الشفاء!؟

أى منطق هذا ؟

وفيما إذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها "جمال عبد الناصر" ورفاقه ومئات من الأحرار فى الجيش طوال أعوام قياسية مليئة بالأحداث والمفاجآت؟.. هل كانوا يعيدون كل هذه الأعمال التاريخية الثورية لكى يحكم "النحاس" و "سراج الدين" و "هيكل" و "عبد الهادى".. وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم؟!

هذا.. إذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شئ كما هو بعد طرد "فاروق" يبقى "البدراوى" فى درين يشرب دم الألوف من المواطنين.. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب.

ويبقى "سراج الدين" يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه ويبقى الأمراء والأميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر, ويبقى ويبقى... يبقى كل شئ ما عدا "فاروق".. فهل هذه هى الديمقراطية؟

وهل هذا ما كان يريده الشعب؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات, ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود؟!

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد, وإنفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات إلى أوربا, وفى إصلاح اليخوت والقصور وإعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصابة من الأفاقين العاطلين؟!

ثم.. هل كان "النحاس" و "سراج الدين" و "عبد الهادى" و "هيكل" وباقى القطيع السياسى بدستوره وببرلمانه, والذى كن سنتركه يحكم بعد طرد "فاروق".. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية, وإعلان الجمهورية وإلغاء الألقاب ورفع مستوى الفلاح والعامل, وإعداد العدة لكفاح الاستعمار, ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية؟!

وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب "سيد" لا "باشا" أو "بك" أو صاحب رفعة ودولة؟!

وهل كان "محمد نجيب" إذا فرضنا أنه سيكون معهم باعتباره ديمقراطياً.. أقول هل كان "محمد نجيب" قادراً على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدينة؟

وماذا أيضاً!

هل كان يمكن- لو فرضنا إننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد 23 يوليو- أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكاً لهم بأرضها وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر هذا الكلام, ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها...

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم.!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن عيشاً رغداً وأشهراً ناعمة فى أوربا وثياباً من باريس وقصراً فى الخلاء.. وكلاباً تأكل أطيب أرزاق البشر.!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة, ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون, ومن كل أرملة تريد عملاً لوحيدها.

ومن العامل والفلاح, وحتى من أبناء السبيل!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين, وسيطرة الأفاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين!

ثم ما هى حرية الصحافة فى رأيهم إذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات التـآمر مع المستعمر.. والتحدث باسم الإقطاع والمشعوذين.!

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون بها الخدود ويشقون الجيوب كمداً عليها!

وأعود إلى السؤال السابق, فأقول إنه كان لا يمكن للثورة العربية المصرية أن تمضى فى طريقها إذا اكتفت بخلع "فاروق"... ثم تركت الأمور كما هى بعد ذلك.

لو كان قد حدث هذا, وترك "جمال عبد الناصر" ورفاقه الأمور بعد طرد "فاروق" كان حتماً أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية.. إلا إذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أ، العدالة الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيـدى الباشـوات و "الهـضيبى" و "عبـد العزيـز البدراوى".!

وفى هذه الحالة.. أكان من مصلحة الشعب أن يبقى "جمال عبد الناصر" ورفاقه فـى أماكنهم كمسئولين عن الثورة, ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقـال حـدودها مـن تلقـاء أنفسهم.. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الأهداف الـشعبية لتتحقـق أهـداف "سراج الدين" و "الهضيبى" وباقى القطيع؟!

وقد بقى "جمال" ورفاقه فى أماكنهم.. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئاً فشيئاً.. ومضوا يعملون أناء الليل وأطراف النهار.. فى الصيف وفى الشتاء.. فى البرد وفـى القيظ.. يواجهون الأحداث ويعدون المستقبل للشعب ولكى لا يعطلهم الأعداء وقطيع عهد أسرة "محمد على", اتخذوا موقفاً حازماً حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذنابهم.. وكان لابد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصادر حتى لا تزحف الأفاعى مرة ثانية لتهدد حياة الـشعب فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر, وعندهم حق, فنحن ضـباط وعـساكر فعلا, لكن لسنا ساسة من نوعهم, ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب, ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه!

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم, وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك, وبلا بارود ينسف المدن والقرى, وبلا مجازر فى الشوارع والميادين!

وقد مضينا فى الطريق, وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالأعداء.. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة, يريد وقف تطور الشعب, يريد أن يبقى كعدو إلى الأبد.. يعيش هو ولتمت الألوف تحت أقدامه!

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا!

هل إذا وقف "أبو الفتوح", ومصالحه مرتبطة بمصالح "سراج الدين" وباقى القطيع, واتهمنا بأننا كذا وكذا.. هل نتركه يواصل نشاطه الإجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية ؟!

وهل إذا حوكم جواسيس الإنجليز أمام محكمة الثورة, وصدر الحكم بإعدام شيخهم "كنج صبرى".. وإذا ألقينا بالمدعو "كريم ثابت" فى الليمان.. نصبح ضد الديمقراطية ؟!

وهل إذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع "فؤاد سراج الدين" من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيداً عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية.

وهل إذا تركنا تجار الدين يقتلون "جمال عبد الناصر", ومئات غيره, وتركنا "الهضيبى" ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين. هل إذا كن سمحنا بهذا, نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور؟!

إن طريق الثورة كان مليئاً بالأعداد.. وكان لابد من إبعادهم عنه, ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه.. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الأعداء عن الطريق بقانون الثورة.. بالحزم والصمود وبالإصرار على أهدافنا.

فضلنا هذا على المذابح والمجازر, فهل لأننا نريد حقن الدماء.. نعمل ضد الديمقراطية!

وماذا لو كان اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك "بفاروق" وبأسرته, بدلا من إسقاطه بإنذار وطرده بكلمة.. وتركنا الشعب يهاجم الإقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رؤوسهم ويأخذ الأرض التى من حقه.. لو كنا تركنا الشعب يحطم رؤوس الباشوات والباكوات وأبناء الأرستقراطية المصرية العفنة, بدلا من إلغاء ألقابهم ووقف نشاطهم..

هل لو كنا فعلنا كل هذا, نصبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور؟!

الثورة وطريق الدم:

انتهى حديثى عند نقطة هامة للغاية, بالنسبة لتاريخ هذه الثورة.. ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين, ونصبح أيضاً مع الدستور؟

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم 23 يوليو ضد كل الذين أراد الشعب الخلاص منهم, الملك, والاستعمار, والباشوات, والبكوات, وملاك أرض الشعب؟

وهل كنا حقا قادرين على إبادة كل هؤلاء الأعداء فى معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب؟

لقد كان أمرا واقعيا أن تبيد الثورة كل أعداء الشعب وإلا كانت مهزلة لا ثورة.

إن التاريخ يقول لنا إن كل ثورة فى أى بلد من بلاد العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان– الشعب وأعداء الشعب– مئات وألوفا بل وملايين من الضحايا.

ولكن– كما سبق أن قلت فى أحاديثى السابقة– الفرق بين الثورة العربية التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الأخرى هو أن قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة.. أى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب فالجيش كانت قيادته خاضعة للشعب على الإطلاق, لكنها أصبحت فعلا خاضعة للشعب فى صباح 23 يوليو ووجد أعداء الشعب أن القوات التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم, بل واتجهت إلى إبعادهم عن طريق الشعب...

وفوجئ العالم بثورة مصر تتبع أسلوباً جديداً فى القضاء على أعدائها لم تسبقها إليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم.. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن إمكانياته.

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة العربية المصرية, وأعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة... فالنتيجة معروفة. وكان عليهم أن يستسلموا.

كان عليهم– جميعاً– أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للأمر الواقع, لإرادة الثورة.. وقد كان! لكن لأنهم لم يبادروا ويفنوا فى مجزرة, ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس, خيل إليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات, مادامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام القوات المسلحة.

وعندما تفشل تلك المؤامرات, وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها.. عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة, يقال عن قادتها إنهم يريدون ديكتاتورية كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب, وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات, وترك "الهضيبى" يلقن السذج سورة آل عمران وأحداث وسائل النسف والذبح.

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس "محمود أبو الفتح" فى مكتبه فى إحدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه.. وهو حليف الإقطاع والزعامات التى تعفنت.

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف "جمال عبد الناصر" عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات مصر وبكواتها: تفضلوا وأحكموا من جديد.

وعندما تضرب الثورة على أيدى الشيوعيين لأنهم تآمروا أيضاً على الثورة مع الإقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل الأعداء. يقال عن الثورة إنها لا تؤمن بالديمقراطية, ويقول عنها الشيوعيون إنها حكومة الفاشيين والسفاحين.

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية؟

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة؟

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا؟

إن البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل "الهضيبى" هو الشعب, وهل "سراج الدين" هو الشعب؟

وهل الجاسوس "كنج صبرى" هو الشعب, وهل "كريم ثابت" هو الشعب, و"محمود أبو الفتح", و"عدلى لملوم", و"حافظ عفيفى" و"عبد الهادى", وعملاء إسرائيل, وعملاء كل الجهات الأجنبية.. هل كان كل هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب؟.

وهل من أجل موقف الثورة هذا تحمى به نفسها– وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم– يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة؟

وأعود إلى موضوع الدم من جديد فأقول إن الثورة لو كانت بدأت فى فجر 23 يوليو بمذبحة ضد القصر والإقطاع والاستعمار وعملاء الدول الأجنبية والباشوات والسماسرة ثم

انتهت بانتصار شامل عليهم, ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره, أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات, لو حدث هذا لأصبحت فى هذه الحالة فقط... وفى هذه الحالة وحدها, قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب.

ولكن للأسف الشديد- وأقولها بمرارة- لم يحدث أن قامت تلك المجازر بعد 23 يوليو.

لم تفرش دماء أعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد إبادتها بالسلاح أن يطمئن قادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية, فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال, وتعاد كل الحريات فى الحال, بعد أن خلت مص من الأعداء.

لكن.. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طريق أخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجاه فى هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة.

لا- وأقولها بملء فمى- فنحن كنا على استعداد لكل احتمال كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية, وفى قصور الباشوات, والساسة الخونة والرجعيين, وفى قرى الإقطاع وفى القنال.

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء أنفسنا أو بحكم الأمر الواقع, وكان النصر سيحالفنا, فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الإذاعة اللاسلكية فى صباح 23 يوليو.

لكن بالرغم من إيماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الأعداء, إلا أننا كنا نضع فى حسابنا دائماً مسألة الخسائر.

فماذا كان الشعب سيخسر لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والإقطاع وباقى الأعداء؟

ألم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن أيضاً؟

ألم يكن محتملا أن يموت الألوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب؟

ألم يكن محتملا أن تتحول أرضنا الخضراء الهادئة إلى ساحة حرب يحترق فيها الأخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها؟

وكما قلت, كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن أو قصر... لكن بعد النصر هل كان من الممكن إعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب؟

وإذا كان هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الدمار والموت والفناء.. وإذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب...

إذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح فى إسقاط النظام الملكى بلا دم وأعلن الجمهورية بلا دم, وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من على ظهر الأرض مدينة مصرية واحدة بما فيها من ناس ومال وحياة...

أقول إذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصار فى ثورة الشعب, أيعد هذا العمل التاريخى المجيد ضد... الديمقراطية... وأية ديمقراطية؟

إن الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن أن يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلاً واحداً على اتهامهم لنا, وعلى تجنيهم علينا.. بل الذين أصيبوا بالسوء هو أعداء الشعب.. هم "كنج صبرى" و"كريم ثابت", و"البدراوى" و"سراج الدين", و"إبراهيم عبد الهادى", و"الهضيبى" وعصابته الناسفة, وعملاء إسرائيل, وعملاء الدول الأجنبية على اختلافها.

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس قيادة الثورة بالديكتاتورية

وإنى أقول لهم مثلما قال "ماوتسى تونج" لأعداء ثورة الصين:

"نعم يا حضرات السادة, إننا نقيم ديكتاتورية... لكن على أعوان الاستعمار والإقطاع".

الـفصل الـثـالـث

الــضــبــاط الأحــرار

بعد المحنة

عام 1949, بعد المحنة الكبرى, بعد أن عاد جيش البلاد من فلسطين ومعه المأساة الكبرى... المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته... فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف السياسى فى البلاد, فبعد انتهاء معركة فلسطين بعد تلك المأساة التاريخية, كان على أعداء الشعب أن يبحثوا عن مخرج لهم... فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار, وغضب الجيش بعد أن طعن من الخلف يجب أن يزول...

وكان تنظيم الضباط الأحرار فى ذلك الخسائر, خاصة وأنها- أى الخسائر- كانت قد بلغت إلى حد أن الضباط الأحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض...

وقد بدأ الضباط الأحرار يعملون على الفوز لإعادة الاتصال من جديد, وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الأحرار, ثم السيطرة على الجيش تماماً بتنظيم ضخم متماسك يمكن أن يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب.

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا, وكانت تضم فى البداية "جمال عبد الناصر", و"كمال الدين حسين", و"حسن إبراهيم", و"خالد محى الدين", و"عبد المنعم عبد الرءوف"... ثم تضاعف نشاط الضباط الأحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية, فانضم إليها "عبد الحكيم عامر", و"صلاح سالم", و"جمال سالم", و"عبد اللطيف البغدادى", وكاتب هذه السطور.

وفى يناير عام 1950 أجريت انتخابات رئاسة الهيئة التأسيسية, وانتخبت جمال عبد الناصر رئيساً لها بالإجماع.

وعلى إثر هذا مضينا نستعد لخوض أضخم معركة فى تاريخ الشعب. بدأنا نعد أنفسنا للاشتباك مع الأعداء تحت سماء هذه البلاد...

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته أعنف مأساة إنسانية تعرض لها شعب من شعوب الأرض.

لا عدالة ولا حرية ولا حق فى أرضنا, بل فساد واستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شئ بالسياسة وبالأرزاق وبالمستقبل نفسه...

مستقبل الملايين, أما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من أنه لا توجد قوة فى الوجود يمكنها زحزحتهم عن أماكنهم..

فالاستعمار حليفهم, والرجعية والإقطاع والبرلمان نفسه الذى يسير الأمور, كل هذا رهن مشيئتهم.

لا يوجد غير الشعب:

لم يكن فى مصر أبطال على الإطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الأعداء الطغاة سوى الشعب نفسه فكيف يمكن للشعب أن يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها...

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها أن تعد الملايين لهذه المعركة... فحزب الأغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء إلى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة- فعلا- لكن ضد الشعب...

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل اركب على ظهرى.. وأعوان الزعيم يعملون من أجل شئ واحد فقط ولا شئ غير.. من أجل أن يبقوا كما هو باشوات وأصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان.. فمن إذن يمكنه أن يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه... الإخوان المسلمين؟... إن مرشدهم يدخل القصر وخرج منه ليسبح بحمد الحاكم... ويعلن على الملأ أنه ملك كريم.

السعديون؟... إنهم لا يمثلون سوى أنفسهم... ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو.. بقاء الإقطاع والاستعمار والفساد والخيانة.. ببقاء الشعب فى القمقم حبيسا لا يجد مخرجاً..

ماذا بقى من قيادات سياسية؟

بقى الأحرار الدستوريون, وهم توائم للسعديين...

من يتولى المعركة:

كان لابد من معركة مهما كانت الظروف, فمن المحال أن تبقى البلاد فريسة للحاكم وأعوانه وبرلمانه ودستوره.

من المحال أن يبقى الجياع والعراة والمستعبدون إلى الأبد تدوسهم أقدام العصابات الحاكمة, ويفترسهم المستعمرون.. فكيف يمكن للمعركة أن تبدأ؟..

كما قلت كان لابد من قيادة تتولاها, وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم أن ضمت قيادته الإقطاع...

ومن خارج صفوف الإخوان الذين لا يؤمنون إلا بالهضيبى.. وبالسمع وبالطاعة... وبولى الأمر الملك الكريم.. كان لابد أن تكون القيادة التى ستخوض الشعب معركة الحياة والحرية غير مرتبطة بقصر أو بحزب من الأحزاب المذكورة, أو بهيئة تتاجر فى الوطنية, فى كل شئ.. كان لابد أن تكون قيادة تربط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن أن تصمد حتى النهاية لأن فى عدم صمودها الفناء لها.. وللشعب أيضاً..

فأين يمكن أن توجد تلك القيادة.. وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك؟

لقد سبق أن أكدت فى أحاديثى السابقة عن الثورة والديمقراطية, أن ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر وظروفها المختلفة...

وكان لا يمكن أن تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات وإلا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الأعداء, فمن غير القوات المسلحة كان يمكن الشعب من خوض معركته ضد أعدائه؟ لأن القوات المسلحة كانت– فى هذه الحالة– ستنضم إلى الجانب الآخر, إلى جانب القصر والإقطاع والاستعمار والرجعية, ليس لأن وحداتها خارجة على الشعب, بل لأن قيادتها كانت خاضعة لأعداء الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الأعداء, فالطريق إذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتى تحمى النظام فى البلاد, وبعد

ذلك يمكن أن تبدأ المعركة على الفور.. يمكن أن تبدأ الثورة العربية المصرية التـــى تؤيـــدها وتحميها القوات المسلحة..

الثورة فى عام 1950

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة العربية المصرية داخل الجيش.. وكان تنظـــيم الـــضباط الأحرار كما قلت قد كبر وأصبح نشاطه مضاعفاً فى عام 1950.

وبدأت الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار تعد العدة للضربة الكبرى كان كل فرد فى تنظيم الضباط الأحرار يؤمن بأنه إما النصر أو الموت..

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل الشجاعة من الشعب نفسه, مـــن مـــشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام, ورغبتها الصادقة فى التحرر.

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القـــصر والحكـــام, وكانت المنشورات ثورية حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة..

لم نحدد فيها مطلباً للجيش أو لضباطه وجنوده..

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها, والشعب يريد القضاء لعى المستعمر وأذنابـــه نحـــن نسجل إرادته, والشعب يلعن الأحلاف العسكرية والـــدفاع المـــشترك ونحـــن نطبـــع مئـــات المنشورات لنؤيد وجهة نظر الشعب.

ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحـــدات اســـتعدادا لبـــدء المعركـــة الشعبية..

أما متى تبدأ المعركة؟ فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف بلغة العسكريين وقد الموقف فعلا على أساس قلب نظام الحكم القائم وإحلال نظام جديد مكانه, وحددت المدة لتنفيذ الخطة كاملة– فى عام 1950– بخمس سنوات.. أى أن الثورة ستبدأ عام 1955... وليس فى يوليـــو عـــام 1952...!

وفى يناير عام 1951 أجريت انتخابات جديدة للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار وأعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية..

الشعب لا أولادنا..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على أساس تقديرنا للموقف في البلاد فى ذلك الوقت, فوجئنا بالبكباشى "عبد المنعم عبد الرءوف" وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الأحرار كله إلى إحدى الهيئات..

ولم يجد "عبد المنعم عبد الرءوف" من يستمع إليه.. كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة.. وارتباطنا به وبأهدافه ككل, لا بهيئة مهما كانت أهدافها.

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على إخضاع الضباط الأحرار لجماعة الأخوان المسلمين, وقال وهو يحاول إقناعنا بوجهة نظره: إن جميع أعضاء تنظيم الضباط الأحرار يمكن أن يقبض عليهم قبل أن يتمكنوا من عمل شئ.. من يرعى أطفالهم وزوجاتهم وأهلهم؟

وقال إن انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة ما إذا أصابنا مكروه, فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا وأولادنا.

وقلنا له جميعاً: إننا مثله لنا زوجات وأولاد, ويهمنا أن نطمئن على مصيرهم لكن المسألة ليست مسألة شخصية.

فنحن نعد ثورة لا مؤامرة!...

ومصير أولادنا وزوجاتنا لا يعنينا لأن الذى نعمل من أجله هو مصير الشعب لا أطفال الضباط الأحرار...

وقلنا له: إن ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى, فالجيش يجب أن يكون خاضعاً للشعب ككل.. وإلا جعلت منه الهيئة المذكورة أداة لتنفيذ أغراضها هى.. وأهدافها هى.. وخططها هى!..

وقلنا له: نحن لا نستطيع أن نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل أطفالنا..

وأصر الضباط جميعا على رأيهم, فالجيش يجب أن يصان من نفوذ الهيئات والأحزاب, الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى أو الوفد أو جماعة معينة.

تنفيذ الخطة قبل موعدها..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش أكثر مما قدرنا ففى كل وحـــدة مـــن وحدات الجيش أصبح لتنظيم الضباط الأحرار أفراد فيها..

لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المـــسلحة أن تـــنجح الفكرة إلى هذا الحد, وكانت الأمور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير..

فقد ظهر مدى إيمان الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان "فؤاد ســـراج الدين" يتولاها من مكتبه بالداخلية.

ثم بدأ القصر يتآمر, وبدأ الوفد يتراجع, لكن الرأى العام كان فى حالة يصعب معهـــا خداعه.

وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها, فالضباط الأحرار كانوا قد بدءوا يساهمون فى معركة القنال رغم إرادة القصر وحكومة الوفد..

واجتمعنا وتبين لنا أننا قد نضطر إلى تنفيذ خطتنا قبل موعدها.. أى قبل عام 1955.

لمن يخضع الجيش؟!

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الأحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم تنفيذ الخطة.. أما العامل الثانى: فهو الأحداث السياسية التى طرأت على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة وكان لابد من اختيار قائد الثورة.. لكى تبدأ الثورة معاركها مـــع أعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله...

هنا أود أن أقف قليلاً, فهنا تلعب الظروف دورها.. هنا تتحكم الصدفة, ولا شئ غيرها فى الموقف.

لقد كان من رأى "جمال عبد الناصر" وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحـــرار والذى انتخب فى كل مرة رئيساً, والذى كان عليه أن يقود الثورة فى العلن مثلما قادهـــا فـــى السر قبل 23 يوليو.. أقول كان من رأى "جمال" أن يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة مـــن رتب الجيش, وكان هناك رأى واحد فقط فى الهيئة يعارض أن يقود الثورة واحد من خـــارج الهيئة التأسيسية... لكننا اتفقنا– جميعا– فى النهاية على أن يتولى أحد الضباط الكبـــار قيـــادة الثورة, واقترح جمال ثلاثة أسماء: "عزيز المصرى", "فؤاد صادق", و"محمد نجيب".

حقيقة "فؤاد صادق":

وبدأت الاتصالات بعزيز المصرى, ولكن الرجل أصر على أن يظل أبا روحيا للثورة وأقنعنا برأيه.

وبقى اثنان.. اللواء "فؤاد صادق", واللواء "محمد نجيب"..

وذهب "صلاح سالم" لمقابلة اللواء "فؤاد صادق", ليعرف نواياه..

وكان "عثمان المهدى"- رئيس هيئة أركان حرب الجيش- قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت, ولم يكن معقولاً أن يفاتح "صلاح" "فؤاد صادق" فى أمر قيادته للثورة.. فهو كان مثل "محمد نجيب" لا يدرى أن هناك تنظيماً للضباط الأحرار.

وأيضاً لا يدرى أن هؤلاء الضباط الأحرار قد أعدوا أنفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم, كل ما كان يعرفه "فؤاد صادق" هو أن بعض ضباط الجيش الصغار لهم رأى معين فى الحالة, وأن هؤلاء الضباط الصغار لا يتعدى نشاطهم إعلان السخط والغضب والأسى..

وأعود إلى مقابلة "صلاح سالم", و"فؤاد صادق"..

وذهب "صلاح إليه فى بيته, وقال له: إن الرأى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش, وقال له "صلاح": إن هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير, وظل "صلاح" يحدثه عن هذا الرأى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع "فؤاد صادق" وآمن بأنه سيعين رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش..

وأثناء الحديث دق جرس التليفون, ورفع "فؤاد صادق" السماعة, وكان المتكلم هو اليوزباشى "مصطفى كما صدقى", وكان "مصطفى" على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت, وقال "مصطفى كمال" "لفؤاد صادق": إن مرسوم تعيينه رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح.

وظهرت على فم اللواء "فؤاد صادق" ابتسامة غريبة, ونظر إلى "صلاح" نظرة ذات مغزى. ثم قال وهو لا يزال يمسك بسماعة التليفون: "بتقول إيه يا "مصطفى"؟.. زعق شوية" وأشار "فؤاد صادق" "لصلاح سالم" أن يقترب منه, واقترب صلاح وقرب أذنه من التليفون كما

طلب منه اللواء "صادق", وسمع "صلاح" مصطفى صدقى" يتحدث عن مرسوم تعيين "فؤاد صادق" الذى سيصدر فى اليوم التالى.. ثم وضع "فؤاد صادق" سماعة التليفون.

عرف شخصيته:

فى تلك اللحظة عرف "صلاح" شخصية "فؤاد صادق".

فالرجل شعر بعد أن أبلغه "مصطفى صدقى" بأمر تعيينه أن– الرأى العام– للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه "صلاح سالم" لم يعد يعنيه..

وقد كشف "فؤاد صادق" عن شخصيته أمام "صلاح" فجأة, فبعد أن كان قد أبدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف إلى جانبهم, انقلب فجأة– وبلا مقدمات– بعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه, فقد عين والحمد لله..

إن اللواء "فؤاد صادق" كشف عن حقيقة معدنه عندما قال "لصلاح" بعد مكالمة "مصطفى" بالحرف الواحد:

– إذا كنت بقيت رئيس أركان حرب الجيش فده بمجهودى أنا.. وبدراعى أنا.

ثم قال "لصلاح": إنه سيعمل على أقامة النظام الكامل فى الجيش, وإنه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش.

وصمت لحظة ثم عاد يقول "لصلاح" المذهور:

– لازم تفهم أنت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده.. لأنى سأنفذ القانون.. وأنصحك أنك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أحسن..

ولم يتمالك "صلاح" نفسه فقال له وهو حزين آسف:

– دى أخر مرة أخش فيا بيتك.. السلام عليكم..

وهم "صلاح" بالانصراف, وسمع "فؤاد صادق" يقول له وهو فى طريقه إلى خارج البيت:

– بيتى مفتوح.. اللى يحب ييجى ييجى.. واللى ميحبش هو حر..

وعاد "صلاح" إلى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين "فؤاد صادق", المرشح الثانى لقيادة الثورة, وكانت مفاجأة للجميع..

أما لماذا لم يعين "فؤاد صادق" فى اليوم التالى رئيساً لهيئة أركان حــرب الجــيش؟, وعين بدلا منه فى اللحظة الأخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية, لعب فيها تــشكيل الــضباط الأحرار دوراً حاسماً..

أين كان "محمد نجيب"؟!

كيف تم الاتصال بنجيب؟

كيف ظهر على المسرح.. وهو الذى لم يكن يعد ثورة أو أى شئ..

لقد كان "نجيب" فى ذلك الوقت قائداً لسلاح الحدود.. ولم تكن له صلة ما بالحركــة. ولم يكن يدرى مثل "فؤاد صادق" أن هناك فى الجيش تنظيماً ضخماً يعمل تحت الأرض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظام الحكم..

لم يكن يعلم شيئاً بالمرة, وكنا فى أواخر علام 1951..

وأعود مرة أخرى إلى الصدفة العابرة, الصدفة التى جعلت اسم "نجيب" يتردد علــى ألسنتنا وجعلت "جمال" يرشحه مع "عزيز المصرى" و "فؤاد صادق" لقيادة الثورة.

فقد صدر الأمر بنقل نجيب من سلاح الحدود إلى سلاح المشاة..

وعين "حسين سرى عامر" ذنب السراى مكانه.. ولم يكن لهذا النقل من مبرر.

وتردد فى صفوف الجيش أن "محمد نجيب" قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت إليــه, وكان الشعور العام فى الجيش ضد "حسين سرى عامر".. لا لشىء إلا لأنه ذنب للسراى!!

ومن هنا كان العطف على "نجيب".

شعر الجميع أنه ضحية لحسين سرى عامر, ولو كان نجيب نقل أو أحيل إلى المعاش وعين بدلاً منه أى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الرأى العام فــى الجــيش علــى الإطلاق, لكن لأن الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب إذن يستحق العطف, ويجــب أن يقف الضباط الأحرار إلى جواره وفعلا حدث عقب أن سرى نبأ اعتزام "نجيب" تقديم استقالته أن اتصل به "جمال عبد الناصر" وقال له:

– "إن الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المـشاة ولا داعـى لتقـديم استقالتك".

وقال له "جمال" أيضاً: إن اللطمة التى وجهت إليه إنما هى موجهة للجـيش, ولهـذا فالجيش يعتزم رد اللطمة بأشد منها!!

هكذا بدأ اتصال الضباط الأحرار باللواء "نجيب", فهو فى محنة وهم يقفون إلى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى..

ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة, ومن هنا بدأ القـدر يفـتح أمامـه أبـواب التاريخ!

الفصل الرابع

خطة الثورة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البداية.. بداية اتصال تشكيل الضباط الأحرار باللواء "محمد نجيب", وكان ذلك فى عام 1951 وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته فى موضوع قيادة الثورة, بل لإقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود إلى المشاة, ليحل "حسين سرى عامر"– عميل القصر– مكانه بناء على رغبة القصر..

وشرحت فى حديثى السابق كيف حظى اللواء "نجيب" بتأييد الرأى العام فى الجيش أو بعبارة أخرى بتأييد الضباط الأحرار, وهم كانوا على استعداد لتأييد أى ضابط كبير آخر أصابه سوء يدى عميل السراى "حسين سرى عامر"!

وفى ذلك الوقت لم يكن "محمد نجيب" يعلم ماذا يجرى فى الجيش؟! لم يكن يعلم أن فى الجيش تنظيماً سرياً ضخماً يباشر نشاطه تحت الأرض استعدادا لقلب نظام الحكم...!

ولم يكن يعرف أنه كان- فى ذلك الوقت- المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما إذا لم يتول قيادتها "عزيز المصرى" أو "فؤاد صادق"...؟

وفى الفصل السابق عرف القارئ كيف صمم عزيز المصرى على أن يبقى أبا روحياً لنا. وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثانى اللواء "فؤاد صادق" ثم اكتشف "صلاح سالم" حقيقته أثناء وجوده فى بيته, عرف مدى غروره وصلفه وأنانيته, وعرف من أية طينة عجن ذلك الرجل!

وبعد أن ظهرت لنا حقيقة "فؤاد صادق" أسقطناه من حسابنا, ثم جاء دور المرشح الثالث "محمد نجيب", وحدث ما رويته من نقله إلى سلاح الحدود, ثم اتصال "جمال عبد الناصر" به وتأكيده له أن الجيش يعتبر اللطمة التى أصابته موجهة للجيش نفسه, وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها.. للقصر.

وبعد اتصال "جمال" باللواء "محمد نجيب", استعد تنظيم الضباط الأحرار لرد اللطمة فعلاً واجتمعنا وقررنا أن تكون اللطمة عن طريق نادى الضباط.

اختبار قوة الأحرار

قررنا أن نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب "محمد نجيب" رئيساً لمجلس الإدارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى المجلس, لأن مديره "حسين سرى عامر: خصم لنا.. ولأنه عين القصر المفتوحة فى الجيش..

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من "حسين سرى عامر" ورد اللطمة للقصر فقط, بل رأينا أن هذه المعركة إذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة.. معركة لقلب نظام الحكم فمعركة الانتخابات إذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الأحرار ضد القصر, وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة, ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الإحساس بالقوة, وليس هذا فقط, فإن الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة, ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الأحرار.

وقدرنا أيضاً نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها, فالملك سوف يشعر بهزيمة عملائه فى تلك الانتخابات وبأن الجيش غير راض عن تصرفاته, ويمكن

أثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النادى..

ومضينا نستعد للمعركة الأولى بيننا وبين القصر, وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريباً, وأن فى الأفق سحبا تنذر بالشر, فأصدر أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط..

التنظيم يتحدى التأجيل!

وقد كان علينا أن نمضى حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة, ولم نبال بقرار التأجيل. فصدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم إلى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخابات, وكان محددا لها 31 ديسمبر سنة 1951. وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عدد كبير من الضباط الأحرار. وأعلنوا على الفور احتجاجهم على أمر تأجيل الانتخابات, ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام سلطة رياسة الجيش لتقرر ما تشاء.

ولم نكن نتوقع أن تستجيب رياسة الجيش لهذا التحدى, لكن يبدو أنها– أى الرئاسة– خشيت توتر الموقف فاستجاب للمطلب وتمت عملية الانتخابات!

وهنا وزع الضباط الأحرار كشفا بمن يرشحونهم للانتخاب.. ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا أسماءهم اللواء محمد نجيب.. وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار. وماذا نعد له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته...!

ونجحت خطة التنظيم.. فكل الذين سجلنا أسماءهم فى قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة..!

وليس هذا فقط بل لقد مضينا فى تحدى القصر إلى أبعد مدى, فرفضنا تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى...!

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة! وقد حدث ما توقعناه ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة, وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا..!

وجاءت الأحداث...!

وأقبلت الأحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها, فقد وقع حريق القاهرة- يناير سنة 1952- واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها وكان الاجتماع فى منزل "حسن إبراهيم", وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى, عملية قلب نظام الحكم, لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا.. وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية, ثم قررنا أن تكون على استعداد خلال شهر واحد.. وبذلك تغيرت الخطة..!

وأثناء حريق القاهرة صدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار الذين فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب- وكنا نعرف النتيجة- فالقصر والاستعمار وأعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة ولا سبيل إلى مقاومة هؤلاء الأعداء إلا بالثورة, لا بالتخريب والخطب الرنانة, وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة, وعرف من لم يكن يعرف أنه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار..

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط, فهى مع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الأحيان...!

وكانت وزارة "على ماهر" التى تكونت عقب حريق القاهرة عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد بالحديد والنار ثم تصفية الحركة الوطنية نهائياً على أيدى الخونة والأذناب وأصحاب المصالح المتناقضة مع مصالح الشعب!

وفعلا لم تلبث وزارة "على ماهر" أن طارت فى فبراير.. أى بعد أيام من تأليفها.

حقيقة "رشاد مهنا"...

وقبل أن أمضى فى سرد أحداث ما بعد حريق القاهرة, أود أن أقف قليلاً لأتحدث عن رشاد مهنا.. لأزيح الستار عن سر آخر غير سر "محمد نجيب"!

إن "رشاد مهنا" لم يكن فى تنظيم الضباط الأحرار, لم يكن واحدا منا.. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام.. فقد حدث بعد انسحاب "عبد المنعم عبد الرءوف" من الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار أن اقترح "جمال عبد الناصر" ضم "رشاد مهنا" بدلا منه, وعارضت رأى "جمال" لأنى كنت أعرف شخصية ذلك الرجل.. من تاريخه ومن واقع تصرفاته!

لكن "جمال" ذهب فعلا إلى "رشاد مهنا" وعاد ليقول لنا إن "رشاد" لم يصدق أن فـــى الجيش تنظيماً سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد. كل ما كان يعرفه "رشاد مهنا" هو أن فى الجيش رأيا ضد القصر فقط, وقال لنا "جمال" أيضاً: إن "رشاد مهنا" رفض أن ينـــضم إلـــى التنظيم وقال: إنه يفضل التعاون من بعيد لبعيد!

وهكذا تراجع "رشاد مهنا" فى عام 1950, مثلما تراجع من قبل عـــام 1942.. لـــذلك قصة سأرويها فيما بعد.

وأعود إلى قصتنا فأقول إنه بعد أن طارت وزارة "على ماهر" فى فبراير عام 1952, ذهب "جمال عبد الناصر" مرة ثانية إلى رشاد مهنا, وفاتحه فى موضوع تنفيـــذ الخطـــة.. أى قلب نظام الحكم.

وهنا شعر "رشاد مهنا" أن المسألة جد, وأن الجيش فعلا يمكن أن يفعلهـــا– اليـــوم– ويقلب النظام, وقد وافق "رشاد مهنا" فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيـــذ الخطـــة, وقـــال "لجمال عبد الناصر" إن معه ناسا, أى وراءه رأى عام الجيش؟

وقد وضع "جمال" خطة قلب نظام الحكم على أساس أن رشاد مهنا سيشترك فيها وأن معه ناس وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بالاستعداد.. وكان ذلك فى مارس عام 1952.

"رشاد مهنا" يتراجع..

وفجأة بعد أن أعددنا كل شئ للتنفيذ, على أساس اشتراك "رشاد مهنا" معنا جاء ذلـــك الرجل إلى "جمال" ليقول له إنه نقل إلى العريش...

وعرفنا بعد ذلك أن "رشاد مهنا" قدم طلبا كتابيا إلى رئاسة الجـــيش للخدمـــة خـــارج القاهرة.. ويبدو أنه شعر بعد أن اتفق مع "جمال" على الاشتراك فى قلب نظام الحكم.. أقـــول إنه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته.

وقد عدلت الخطة بعد تراجع "رشاد مهنا" وسفره إلى العريش, وكان لابد من تعـــديلها بحيث لا تعتمد على "رشاد مهنا", وألغيت الأوامر وأجلت العملية إلى أجل غير مسمى.

كان موقف "رشاد مهنا" صدمة لكل الضباط الأحرار, وأخرجنا "رشاد مهنا" من حياتنا نهائياً, مثلما أخرجنا "عبد المنعم عبد الرءوف", وكان ذلك باعثاً على ارتياحى أنـــا شخـــصيا

لأنى كنت أعرف حقيقة "رشاد مهنا" أكثر من جميع الزملاء.. وكان رأيى دائماً هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه.

"محمد نجيب" والرغبة السامية

مايو عام 1952, وكنا فى رمضان, طلب "محمد نجيب" عقد الجمعية العمومية لنادى الضباط بناء على رغبة سامية!

وعرض "نجيب" على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ورفض الطلب بالإجماع..

كان "نجيب" حتى ذلك التاريخ لا يدرى ما يدور حوله.. لا يعرف شيئاً ولا يرى شيئاً..

إن أخر شئ كان يتوقعه "محمد نجيب" هو أن يقلب الجيش نظام الحكم.

أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين- مايو عام 1952- إن فى الجيش تنظيماً سرياً. ولم يعرف أى شئ عن الضباط الأحرار, وإنما كان يعرف "جمال عبد الناصر" و "عبد الحكيم عامر" و "صلاح سالم".

ولم يكن يعرفهم على أساس أنهم يعملون داخل تنظيم سرى يعد العدة للقيام بثورة, بل كان يعرفهم على أساس أن لهم رأيا عاما فى الجيش فقط!

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البلاد, وطرد الملك وأعلن الجمهورية وحطم الإقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد.

هكذا كان حال اللواء "محمد نجيب" فى عام 1952 أى فى عام الثورة, رجلا مسالما يرى أن الرغبة السامية لها احترامها ويرى أن المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما "لجمال" و "صلاح" و "عبد الحكيم".

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العالم كله وأشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة, وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضد الاستعمار والإقطاع.. ضد جلاديه.

كان مثل أى رجل فى مصر وفى مثل سنه, مثل أبى وأبيك..

كان موظفاً يجلس إلى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه أى شـــئ عـــن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار, كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة.. عام 1952 هو نفس الشيء الذى كان يشغل بال أى موظف كبير فى مثل سنه.. ربما علاوة أو ترقية أو منصبا أخر غير منصبه فى سلاح المشاة!

لم يكن يخطر على باله أن التاريخ يعده ليكون أكثر من هـــذا.. ليكـــون علـــى رأس ثورة.. ثم ليكون رئيساً لجمهورية البلاد.. لا رئيسا لسلاح الحدود!

ولم يكن يخطر على باله أن "جمال" و "عبد الحكيم" و "صلاح" الذين يراهم أحياناً كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم, يعدون العدة لكى يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم يقولوا له.. تفضل.. أنت زعيم!

هذا هو وضع "محمد نجيب" فى عام 1952.. فى عام الثورة!..

موظف كبير من موظفى الدولة.. أساءت إليه السراى عندما نقلته من وظيفته, فقـــرر القدر أن يعوضه عن هذه الإساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة.

"جمال" "وعبد الحكيم" فى القاهرة

وأعود إلى القصة فأقول إنه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم أمر تنفيذ الخطة مـــن جديد.. وتقرر تأجيل التنفيذ إلى نوفمبر من نفس السنة.. سنة 1952.. وكان هناك أربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم : "جمال", و"عبد الحكيم", و"صلاح", وكاتب هـــذه السطور.. كنا فى العريش ورفح.

وفى شهر يوليو سافر "عبد الحكيم عامر" إلى القاهرة فى إجازة مرضية, وسافر جمال إلى الإسكندرية فى إجازة أيضاً, ثم قطع "جمال" إجازته وعاد إلـــى القـــاهرة بعـــد أن ســـمع إشاعات عديدة عن الإجراءات التى سيتخذها الملك ضد الضباط الأحرار. وبعد أن ســـمع أن هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين أفراد القوات المـــسلحة للـــبطش بهم!..

15 يوليو.. و "نجيب" لا يعرف!

وفى ذلك الوقت أى فى يوليو.. أى فى شهر الثورة, كان "محمد نجيب" وكـــان أملنـــا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب إلى قصر عابدين رئيساً للجمهورية!

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة العربية المصرية فى ذلك الشهر من عام 1952؟!

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لا يعلم؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله.. قائد الثورة فى فراشه, والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها, أم سيكشف أحد حقيقته فى اللحظة الأخير؟ مثلما اكتشف "صلاح" حقيقة "فؤاد صادق"...؟!

لم يكن هناك وقت على الإطلاق أمام "جمال" ورفاق "جمال" لاكتشاف حقيقة "محمد نجيب"... فنحن فى 15 يوليو.. ونجيب لا يعلم شيئاً بالمرة.. ثم يصدر الأمر بحل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش.

"نجيب" فى بيته لا يعلم

صدرت الأوامر بحل مجلس إدارة نادى الضباط فى 15 يوليو عام 1952, كانت مفاجأة للجميع, وإن كنا نعرف أن القصر كان يتربص بمجلس الإدارة المذكور بعد أن لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف. وتحديه للرغبات السامية, ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود.

ولم تصدر الأوامر فقط بحل المجلس, بل وبتعيين مجلس إدارة مؤقت, ليس للضباط الأحرار عليه سلطان أو نفوذ!

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الأحرار, وكان علينا أن نبدأ فى العمل فوراً لنضيع على القصر فرصة البطش بنا.

وفى 16 يوليو عقد اجتماع سريع حضره "جمال" و"حسين إبراهيم" و"كمال الدين حسين" و"عبد الحكيم عامر" و"خالد محيى الدين" و"بغدادى", وكان ذلك الاجتماع هو أخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التى كان بعض أفرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت, وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة النهائية, وكان يجب علينا أن نأخذ بمبدأ المبادأة حتى لا نؤخذ على غرة, ويتوصل جواسيس القصر إلى معرفة أشخاص الضباط وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة.

الوقت سيد الموقف

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش, وشعر التنظيم أن هذه الحركة إنما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الأحرار وإحداث ارتباك بين صفوفهم.. وفعلا حدث ما كانت تهدف إلية رئاسة الجيش.. فقد بدأت التحركات بين وحدات الجيش على إثر صدور حركة التنقلات السريعة, وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة تلك التحركات.. فهناك ضباط أحرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم إلى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة.

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الأحرار, وكان الوقت هو سيد الموقف.. لابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على الأعداء قبل أن تحدث كارثة.

كانت هناك خطتان.. نواجه بهما الموقف:

الأولى: هى البدء فى تنفيذ الخطة الأساسية, أى القيام بقلب نظام الحكم, وإقامة نظام جديد.. فإذا لم يكن هذا ممكنا– أى إذا ما جاءتنا أحداث جديدة أو ظروف طارئة– تؤجل الخطة الأولى وتنفذ الخطة الثانية, وكانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع.

كنا فى 18 يوليو, شهر الثورة.. وعندما استعرضت الخطة الثانية اعترض عليها "جمال عبد الناصر".

قال: "إن الاغتيالات لن تحقق أهدافنا, لأن النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات".

وقال "جمال" أيضاً: إن هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعه تقضى فيها على جميع الضباط الأحرار وبهذا نكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب, فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم".

19 يوليو.. و "نجيب" لا يعلم!

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار توالى اجتماعاتها فى تلك الأيام التاريخية الرهيبة المليئة بالأحداث.

وأبلغ "جمال" الهيئة بأنه يمكن تنفيذ الخطة الأساسية بالقوات الموجودة, وقال: إن ذلك يمكن أن يتم ليلة 21و 22 يوليو.

كل هذا كان يحدث وكل تلك الأحداث التاريخية كانت تقع واللواء "نجيب" فى بيتـــه لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً.. بل لم يكن قد عرف أن فى الجيش تنظيماً سرياً يقلب نظام الحكم.. كنا فى 19 يوليو وقد صدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار بالانتظار يومياً فـــى "مراكـــز تجمع" من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل.. وأبلغوا بموعد التنفيذ, وكـــل هـــذا واللواء "نجيب" فى بيته لا يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً, بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقـــت بمسألة قيادته للثورة. على أية حال لقد كان كل شئ يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ, لكى يحرر الشعب ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية..

كنا جميعاً نمهد له الطريق فى تلك الأيام نحو الخلود.. كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكـــى يخرج من بيته– وهو لا يعلم– ويقال له.. أنت زعيم.

رقابنا.. ومصائر أطفالنا وزوجاتنا.. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيتـــه علـــى رأس الدولة وهو لا يعلم.

وكما قلت كنا فى 19 يوليو. أى قبل الثورة بأربعة أيام.

لنتأمل– إذن– فى هذا الوضع التاريخى العجيب, وليتأمل معنا العالم كله كيف يصبح الرجل– أى رجل– زعيماً وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام.. وفى غمضة عين.

أليس هذا شيئاً أشبه بالسحر؟ ألا يذكرنا هذا بمصباح "علاء الدين" وخاتم "ســـليمان", والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول: "شبيك لبيك عبدك ملك يديك" ؟!

لقد قلنا للواء "نجيب" هذا ... قلنا له " شبيك لبيك وكل ما تطلبه بين يديك" ... وطلب أن يكون فكان.

العمالقة على باب "نجيب"

قلت إننا في 19 يوليو وكانت الأوامر قد صدرت إلى مجموعات الضباط الأحـــرار، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا في الخطة.

وكان "جمال عبد الناصر" هو الذي وضع الخطة العامة وعاونه "عبد الحكيم عامر" و "كمال الدين حسين", وكان "عبد الحكيم" فى تلك الأيام– كما سبق أن قلت– فى إجازة مرضية.

وتم وضع الخطة العامة, ثم كلف "عبد الحكيم" بوضع الخطة التفصيلية واستعان "عبد الحكيم" "بزكريا محيى الدين".

وفى 20 يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام توجه "جمال عبد الناصر" و"عبد الحكيم عامر" إلى بيت "محمد نجيب" لإبلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم.

وطرق "جمال" باب البيت, وكان عند "نجيب" البكباشى "جلال ندا" والصحفى "محمد حسنين هيكل".. وكانت الأنظار قد اتجهت إلى نجيب فى ذلك الوقت, بعد أزمة مجلس إدارة نادى الضباط.

وأقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الألف: إن "نجيب" لم يكن يعلم لماذا جاء "جمال" و"عبد الحكيم".. وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس إدارة النادى ولتشجيعه كالعادة.. وتظاهر "جمال" و"عبد الحكيم" بأنهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء.. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة.. فلا أحد فى الحجرة- حتى نجيب- كان يتخيل أنهما جاءا ليقولا "لنجيب": أيها القائد.. أنت زعيم الشعب.

والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط, فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين, ودار الحديث- كما قلت- حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس إدارة النادى.. وقال "جمال عبد الناصر":

- إحنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة.. ومحتارين مين اللى يرفعها؟ وقال "جلال" إنه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضوا فى النادى.

ومضى "جمال" حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهات وأعطاها "لجلال ندا" كمصاريف للقضية. ولم يتمكن "جمال" و"عبد الحكيم" من الانفراد "بنجيب", وكان عليهما أن يتظاهرا أمام "ندا" و"هيكل" بأنهما ما جاءا إلا للاستفسار عن صحة "نجيب".

وظلا جالسين فترة طويلة, والحديث يدور حول نفس الموضوع.. وحول القضية التى سيرفعها "جلال ندا" أمام مجلس الدولة. وأخيرا لم يجد "جمال" و"عبد الحكيم" بدا من الانصراف.. دون أن يفاتحا "نجيب" فى مسألة "الثورة".. وهو لم يكن يدرى ماذا فى رأسيهما.

وبعد تلك الزيارة– فى 20 يوليو– لمس "جمال" أنه ربما يكون من الخطر على الثورة الاتصال "بنجيب" مرة ثانية.. إذ ربما كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة.

وأمام هذا الخاطر قرر "جمال" الاتصال "بنجيب" بعد نجاح الخطة.. أى بعد القيام بالثورة.

أزمة النادى وأزمة الحكم

وجاء يوم 21 يوليو.. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد.

وأجلت العملية من ليلة 21– 22 إلى 22– 23 حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الأحرار الذين مازالوا فى الإجازة, وكان "كمال الدين حسين" هو حلقة الاتصال بهم.. يبلغهم تطورات الموقف أولا بأول.

فماذا حدث بعد 21 يوليو؟!

أى قبل الثورة بيومين اثنين!

إن "نجيب" لم يعرف.. كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادى الضباط, أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم.

الفصل الخامس

أحداث الليلة الأولى

أحداث الليلة الأولى

تأجلت عملية قلب نظام الحكم من ليلة 21- 22 إلى 22- 23 يوليو, حتى يتمكن استدعاء جميع الضباط الأحرار الذين كانوا فى الإجازة.

و"كمال الدين حسين" كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم, ليبلغهم تطورات الموقف أولا بأول, بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار قرارا ببدء الثورة.

وكنت قد قلت فى الفصل السابق: إن "جمال عبد الناصر" و"عبد الحكيم عامر" ذهبا إلى بيت اللواء "نجيب" يوم 20 يوليو, ليبلغاه- ولأول مرة- أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة.

ثم ليبلغاه أيضاً أن هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم, وأنه- أى التنظيم- قد اختاره ليكون قائداً للثورة, وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى!

وفى بيت "نجيب" وجد الرفيقان زوارا عنده, فلم يتمكنا من إبلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس إدارة نادى الضباط, وكان "نجيب" يجهل تماما الغرض الذى جاء من أجله "جمال" و"عبد الحكيم", وكان يعتقد أنهما ما جاءا إلا لزيارته, ولتشجيعه- كالعادة- بعد أن حل مجلس إدارة نادى الضباط.

ومر الوقت الزوار مع "نجيب", والرفيقان يتحدثان عن كل شئ ماعدا الثورة وقلب نظام الحكم.

ثم خرجا بعدما أوهما الزوار و "محمد نجيب" أيضا أن كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة, لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجس جديد له.

وفى ذلك اليوم- 20 يوليو- قرر "جمال" عدم الاتصال باللواء "نجيب" لإبلاغه بان الثورة ستقوم وأنه قائدها إلا بعد انتهاء العملية ونجاحها.

لقد قال "جمال": إن بيت "نجيب" ربما كان موضوعا تحت المراقبة, بعد أن ظهر أمام السراى كخصم "لحسين سرى عامر", وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطراً على الثورة.

الوزارة الخامسة والأخيرة!

وبعد هذا- أى فى 20 يوليو- تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة 22- 23 يوليو, وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة, ولم أكن موجوداً يومها فى القاهرة وأيضاً "صلاح" و"جمال سالم" فقد كنا فى العريش ورفح.

وفى ذلك الوقت, عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان "حسين سرى" قد استقال مع وزارته, وهى الوزارة المشهورة التى كان "كريم ثابت"- باشا- وزيرا فيها.

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة.

وكانت حكومة "حسين سرى" فى قبضة السماسرة والخدم, وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة, لا يكاد أفرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى يتحرك إصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى...

كيف يحكم الشعب؟

إن نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه.. والمسألة كانت: هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال "كريم ثابت" ؟!

إن الشعب كان لا يحكم على الإطلاق, فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر.

فكيف- إذن- كان يمكن أن يحكم الشعب, والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه؟!

كان حتما- إذن- كما قلت فى أحاديثى كلها، أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والإقطاع والاستعمار على الشعب.

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال, فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا إلى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم.

كيف ظهرت القيادة الجديدة؟

وكما قلت وسأقول دائما إن الثورة المصرية العربية كان عليها فى عام 1952 أن نجد قيادة جديدة لها..

قيادة غير وفدية, لأن الوفد انسلخ من الشعب عندما ضمت قيادته الإقطاعيين وغير قيادة السعديين والأحرار والدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية...

وغير قيادة الإخوان, لأن الإخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين

أين- إذن- كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية؟

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن أن يخرج زعماء يولون وجوههم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر! ليس هناك سوى القوات المسلحة- كما قلت- فهى الصفوف التى تضم ألوف المصريين المسلحين...

والضباط الجنود الذين تضمهم تلك القوات ليسوا مرتبطين- بأية مصالح- مع القصر والإقطاع وحاميهما الاستعمار!..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب, ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح.

وكانت منشورات الضباط الأحرار تعلن أهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد, وهى- أى المنشورات- كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما, فى السياسة وفى الاجتماع, كانت المنشورات صدى لما يعتمل فى صدور الملايين المصرية!

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة.. إلى الشعب والجنود الضباط.

والضباط الأحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش, حتى أن إدارة المخابرات- وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها- كان للضباط الأحرار أفراد فيها!

وأمام هذه الحقائق تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة.. وتحددت- كما قلت- ليلة 22- 23 للبدء فى العملية... لقد ظهرت القيادة الجديدة!

فى مطار العريش

وفى يوم 21 يوليو.. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة إلى العريش.. وهى نفسها الطائرة التى تسافر إلى العريش عادة كل يوم- اثنين- لكن فى هذه المرة كان حسن إبراهيم فيها, أرسله "جمال عبد الناصر" إلينا.. "صلاح سالم" و"جمال سالم" وأنا.

وكان "جمال عبد الناصر" قد اتصل بنا تليفونيا أخطرنا بأن "حسن" فى طريقه إلينا.. وفى مطار العريش كنت مع "جمال سالم" فى انتظار الطائرة.

جاء "حسن إبراهيم" ليبلغنا أن الخطة الأساسية ستنفذ ما بين 22 يوليو و5 أغسطس!

وطلب "حسن" منى أن أسافر على الفور إلى القاهرة لمقابلة "جمال عبد الناصر" وقال "جمال سالم": إنه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة, فإنه سيبقى فى العريش لينهى بعض الأعمال العاجلة, ثم يطير إلى القاهرة يوم الخميس.

وتركت "حسن إبراهيم" لأعود إلى رفح سريعاً, وأعددت حقائبى على الفور ثم استأذنت من قائدى فى السفر, بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا...

وكان القطار الذى يسافر إلى القاهرة يقوم فى الصباح!

وفى صباح 22 يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة.

من السينما إلى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر, رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى إحدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا.. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل "جمال عبد الناصر" وأتلقى منها ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة.

وكانت دار السينما تعرض- كالعادة- ثلاثة أفلام مرة واحدة.. وجلست مع الأولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث.

وفى خلال تلك المدة كان "جمال" قد ذهب إلى منزلى بسيارته الأوستن المشهورة ولم يجدنى, ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا إليها, وعاد "جمال" يسأل مرة أخرى بعد ساعة.. فلما لم يجدنى, ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها:

"المشروع ينفذ الليلة, المقابلة فى بيت "عبد الحكيم" الساعة 11.."

"وجمال" فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع أنحاء القاهرة كالنحلة تماما.. ليوزع الأوامر على الزملاء..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز درجات السلم إلى شقتى, تاركا أولادى مذهولين مع البواب!

وخلعت القميص والبنطلون, وارتديت ثيابى العسكرية, ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها.

إننى لم أجد أحدا فى بيت "عبد الحكيم عامر", فأين أذهب؟ كنت حائرا.

الملازم الذى قبض على!

لم أر بدا من التوجه إلى مبنى رياسة الجيش, لابد أن قواتنا قد اتجهت إليها مادامت العملية قد بدأت, وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة, وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضباط سيارتى.

ولما رأى رتبتى خاطبنى بلهجة حاسمة مليئة بالحزم, بالرغم من أنه كان يوزباشيا.. لكنه من الضباط الأحرار..

قال لى: أن لا أذهب إلى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة!

وعلمت أن تلك كانت صيغة الأمر الذى يبلغه الضباط الأحرار إلى جميع الضباط من رتبة بكباشى فيما فوق!!

وتابعت مسيرى فوصلت إلى قشلاق السوارى, وكان الطريق هناك مقفلاً وتأكدت أن العملية بدأت فعلاً وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة.

وأردت أن أمر من "الكردون" الذى صنعته قواتنا, ولكن الضابط منعنى وكان صارماً جداً معى.. لأنى لا أعرف كلمة السر.

كان موقفى رهيباً.. فبلا كلمة للسر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من "الكردون" إلا على جثته.. فكيف أتصرف معه؟..

كيف أقنعه أنى من الأحرار.. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا؟ لقد كنت أرى أشباحاً عديدة من بعيد.. إنها قواتنا تقلب نظام الحكم وأنا واقف خلف "الكردون" والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى.. وامتلأت رأسى بمئات الخواطر.. ترى هل أصيب أحد من الزملاء.. ترى ماذا يصنع "جمال" الآن.. وأين "عبد الحكيم"! أين الجميع! وماذا صنعوا..

وعدت بسيارتى, ثم اضطررت إلى اللف من فوق كوبرى القبة, لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش.

وهناك وجدت الطريق مغلقاً أيضاً, لكن ضابط "الكردون" كان يعرفنى, لمحت وجهه من بعيد فعرفته, إنه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح, وهو يعرفنى شخصياً فقد قضينا معاً وقتاً طويلاً فى مكان واحد.

واقتربت من "الكردون" وقد استراحت أعصابى قليلاً.. أضاء الأمل فى صدرى.. إذن سوف أشترك فى العملية..

وما كدت اقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب ثم وهو يقترب منى يرى وجهى.. لكن لا تظهر على وجهه علامات تبشر بالخير, فبالرغم من أنه عرفنى إلا أنه كان لا يعلم أنى من الضباط الأحرار فألقى القبض على فى الحال..

وهنا شعرت بصدرى يمتلئ بالضيق وبرأسى تكاد تنفجر, حاولت معه دون جدوى, إن الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت.. فلم يصدقنى لأنى لا أعرف كلمة السر, ولم أعرف ماذا يمكننى أن أفعل وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها.

يا "عبد الحكيم".. أنا "أنوار"؟

وفجأة أضاء الأمل مرة ثانية فى صدرى.. وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى, فسمعت صوتاً من بعيد يشبه صوت "عبد الحكيم عامر".. واجتاحنى شعور

بالخلاص, كان الصوت القريب إلى نفسى يصدر تعليمات إلى قوات كثيرة ويحدد لها أماكنها.. وفى هذه اللحظات كانت العربات المحملة بالجنود والضباط تمر من أمامى, إنها قواتنا بـــدأت تقلب نظام الحكم!

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى:

يا "عبد الحكيم".. يا "عبد الحكيم".. أنا "أنور"!

ورأيت شبح "عبد الحكيم" يقترب منا.. وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط!

البطل الصامت

ومضيت مع "عبد الحكيم".. لم يكن معى سلاح, وناولنى "عبد الحكيم" طبنجة.. وهـــو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع الأسلحة الصغيرة..

وبدأت أسأل "عبد الحكيم" فى لهفة عن الموقف.. وكان صوت الطلقات لا يزال يدوى كالرعد من حولنا, وقال "عبد الحكيم":

– رئاسة الجيش سقطت...

وصمت.. ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب..

قال لى:

– الطلقات اللى أنت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة!

ولم يقل لى "عبد الحكيم" فى تلك اللحظة إنه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش وإنـــه هو الذى احتلها بجنوده..

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته.. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين.. عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عـــساكره واقـــتحم مـــستعمرة "نيتساليم".. وكان تصرفه ذاك أشبه بالأساطير التى ترويها لنا جداتنا...

ولولا أنه رقى إلى رتبة صاغ استثنائياً لما عرف أحد ماذا صنعه يوم "نيتساليم".. إنه صامت على الدوام, لا يتكلم أبداً عن نفسه, وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد!

لقد كان "عبد الحكيم عامر" دائماً باسلاً حاسماً يخوض معاركه بإيمان راســـخ متـــين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ!

إنه فى يوم "نيتساليم" بمسدسه وعساكره من خلفه.. وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه..

وفى يوم 27 فبراير فيما بعد.. فى عام 1954 حين تدخل ببسالته وحسم الموقف, فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على وشك أن تقع بعد دقائق...

أقول فى كل هذه المواقف كان "عبد الحكيم" بطلاً أسطورياً يحمل رأسه على كفيه وبإيمان لا يزعزعه رصاص أو ديناميت!!

المخابرات تعرف الخطة

وأعود إلى قصتنا.. إلى قصة سقوط رئاسة الجيش.. بمن فيها من قواد!.

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم 22 يوليو, توجه أحد ضباط المخابرات وهو اليوزباشى "سعد توفيق", وقد كان من الضباط الأحرار وأبلغ "جمال عبد الناصر" أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش.. وأن "حسين فريد" رئيس هيئة أركان حرب الجيش".. قد دعا قوات الوحدات إلى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة..

"جمال" كقائد

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم.. بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الأحرار..

ولكن "جمال عبد الناصر" لم يتراجع.. إن العملية قد بدأت ولا سبيل إلى التقهقر, فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا إلى مراكز تجمعها.. وتبدأ المعركة!..

أقول لم يتراجع "جمال", بل قرر القبض على هؤلاء القواد الذين دعاهم "حسين فريد" للاجتماع فى مبنى الرئاسة!

وفى ذلك الوقت, وبعد كل التطورات, كان اللواء "محمد نجيب" لا يزال فى منزله.. لا يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً!

الفصل السادس

كيف نجحت الثورة

شخصية "جمال"

بدأت الثورة– إذن– واللواء "نجيب" لا يعلم..

وانطلقت رصاصات جنود "عبد الحكيم عامر" حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان.. وبقوادها.

لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورة فى لحظاتها الأولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه...!

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتاً طيباً, كما وفر علينا جهوداً ضخمة فى نفس الوقت, فبعد أن علم "جمال عبد الناصر" بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضاً أن تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الأحرار يوم 22 يوليو.. أى تقف الثورة ويبقى النظام..!

وهنا تتضح شخصية "جمال" كقائد.. إنه لا يتراجع.. إنه يصمد.. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة وإخمادها.. وبعد أن عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم, وبهذا يوفر التنظيم جهوداً ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم.. كل على حدة!

لقد اصطاد "جمال" عصافير عديدة بحجر واحد.. أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجئ "جمال" بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم– اليوزباشى "محمد شديد"– نحو مراكز تجمع قوات الضباط الأحرار.. وظن "جمال" أن تلك القوات أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة للقوات التى ستحشدها لإخماد الثورة..!

وتتضح الحقيقة.. ويعرف "جمال" أن اليوزباشى "شديد" جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه, وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة, فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة..!

وكانت تلك المفاجأة مكملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة, واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من "حسين فريد" فى مبنى الرئاسة..!

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط "شديد" بأن تتوجه نفس القوة برئاسة "عبد الحكيم عامر" وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل..!

وفعلاً قام "عبد الحكيم" وهو يشهر مسدسه, وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة, وانتصر التنظيم فى المعركة الأولى, وقد كانت أول معركة حاسمة, تكسبها الثورة..!

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين..!

كان كل واحد من الضباط الأحرار يحتل مكاناً معيناً فى أرض العملية وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة.. ولعل "جمال عبد الناصر" كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه.. كان يطوف بأرض العملية كلها..

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة أركان الحرب وقواده كان "جمال" قد انتهى من طوافه, واطمأن على نتائج الضربة الأولى فتوجه إلى مبنى رئاسة الجيش وجلس فى المكتب... ثم دق جرس التليفون بعد وصول "جمال" بقليل, وكان المتحدث هو اللواء "عبد الله النجومى"..

وسمع "جمال النجومى" يسأل عن "حسين فريد" رئيس هيئة أركان الحرب..

ورد عليه "جمال" بأن الباشا يقوم بجولة تفتيشية!

وسأل "النجومى" عن اسم من يتحدث إليه, فقال له "جمال" إنه الضابط النوبتجى!

و"النجومى كان يتحدث من الإسكندرية ليطمئن على الموقف.. وسمع "جمال النجومى" يقول له:

"حسين فريد" وهو بيكلمنى من شوية سمعت ضرب نار والسكة انقطعت..!

ورد عليه "جمال" فى هدوء:

– لا.. مفيش حاجة أبدا!

"رشاد مهنا" مرة أخرى

وفى الساعة الثانية من صباح 23 يوليو بلغت من القاهرة إشارة النجاح- المتفق عليها إلى جميع وحدات الجيش خارج القاهرة.. فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الأحرار..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ إشارة النجاح يسيطر الضباط الأحرار على القوات فى الحال.

وفى العريش ورفح كان "صلاح سالم" و"جمال سالم" قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة... بمن معهما من ضباط أحرار...

فى تلك اللحظة وبعد أن سيطر "جمال سالم" على قوات العريش ورفح توجه "جمال سالم" إلى "رشاد مهنا"... وكان وقتذاك فى العريش كما سبق أن قلت, وطلب "جمال سالم" من "رشاد مهنا" أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن "رشاداً" كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش, إلا أنه تردد أيضاً فى هذه المرة مثلما كان دائماً يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات!

وبعد أن رفض "رشاد مهنا" أن يتولى القيادة فى العريش, طلب "جمال سالم" من "صلاح حتاتة"- رئيس الدائرة الأولى لمحكمة الشعب فيما بعد- أن يتولاها, وفعلاً تولى "صلاح" قيادة لواء العريش بدلاً من "رشاد مهنا"!

حقيقة تعلن لأول مرة!

أين كان "نجيب" أثناء كل هذا!.. وماذا كان يفعل!.. والساعة كانت الثالثة من صباح 23 يوليو.. وكل شئ كان قد تم بنجاح مذهل, وأقول كل شئ لأن قيادة الضباط الأحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد إبعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الأساس فى عملية قلب نظام الحكم!

وقد تم هذا فعلاً فى الساعة الثالثة من صباح 23 يوليو.. وسيطر الضباط الأحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة..!

فأين كان اللواء "محمد نجيب".. قائد الثورة.!

أين كان تلك الساعة.. بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه.. ويذود عنه!

فى الساعة الثالثة صباحاً من 23 يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديدة أعنى الضباط الأحرار وبين "محمد نجيب" وهذه حقيقة تعلن على العالم لأول مرة!

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون!

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية, ورفع "جمال عبد الناصر" السماعة وظن أن المتحدث هو اللواء "عبد الله النجومى" أيضاً.. يريد أن يطمئنه "حسين فريد" على الحالة!

ولكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء "محمد نجيب".. وكان يتكلم من منزله.. وقال "محمد نجيب" بالحرف الواحد:

- "المراغى" اتصل بى من الإسكندرية.. وقال لى روح هى الحالة فى رئاسة الجيش.. هيه إيه الحال يا "جمال"!

وإنى أنقل هنا ما كتبه اللواء "محمد نجيب" بنفسه فى عدد الأهرام الصادر فى 23 يوليو عام 1954 ونشرت الجريدة ما كتبه "نجيب" فى صفحتها الأولى تحت عنوان.. "قائد الثورة يسجل"..

قال "نجيب" عن حديث "المراغى" معه بالحرف الواحد:

- دق جرس التليفون فى منزلى, وإذا بالأستاذ "مرتضى المراغى" يكلمنى من الإسكندرية ويقول لى: الأولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة.. قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد!

وقلت له: أنا ما عنديش أولاد ولا حاجة!

قال لى: فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة..!

قلت له: أعرف منين الكلام ده, يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم.

فقال لى "المراغى": أنا حا أجيب لك دولة الرئيس "الهلالى" باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد إن ما حدش يمسكك..

قلت له: وإزاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون.!

ومرت لحظات وإذا بالتليفون يدق من جديد, وكلمنى الأستاذ "نجيب الهلالى" من الإسكندرية وقال لى:

– أنا أستاذك يا "نجيب".. ومستقبل الوطن متوقف عليك, فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة الآن.. الإنجليز سيحتلون مصر, وتبقى مسألة خطيرة فطمأنته وقلت له: "إنى ذاهب لأرى الحالة بنفسى"

أنتهى ما كتبه "نجيب" بنفسه فى الأهرام عام 1954.

والذى لم ينشره اللواء "نجيب" فى الأهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال "المراغى" و"الهلالى" به ليلة 22 يوليو.. إنه كان فى منزله.. لا يرى شيئاً ولا يعلم شيئاً.. ثم فى الساعة الثالثة اتصل "بجمال" فى مبنى القيادة– كما قلت– وبعد أن كان كل شئ قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الأحرار!..

وقد رد "جمال" على سؤال "نجيب" بأن وضح له الموقف كله.. وأبلغه– لأول مرة– أن فى الجيش تنظيماً اسمه الضباط الأحرار, وأن قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت– الآن– على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد!

قال "جمال" "لنجيب" بالحرف الواحد فى تلك الساعة من صباح 23 يوليو شارحاً له الحكاية:

– الضباط الأحرار قاموا بالثورة الليلة.. والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة.. وإحنا عايزينك تيجى, حانبعتلك عربية تجيبك..

وهكذا عرف "نجيب"– لأول مرة– حكاية الضباط الأحرار!

وفى الساعة الخامسة صباحاً.. أى بعد ساعتين من معرفة "نجيب" لحكاية الثورة, وبعد أن عرف أن "جمال" يجلس– الآن– مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش, أقول

فى الساعة الخامسة, وصل "نجيب" إلى مبنى رئاسة الجيش.. وفى هذا الوقت كان "عبد الحكيم عامر" جالساً يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الإذاعة.

وجلسنا جميعاً فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس.. وكل شئ قد كلل بالنجاح الساحق, ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة!

القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القاهرة, ثم خرج الناس من منازلهم, وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم, وخرج أفراد منا إلى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب, ثم بدأ الصحفيون يفدون إلى مبنى القيادة.. إن الشعب يؤيد ما حدث.. إن الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر من البلد, الناس فرحون.. كل الناس.. فقد كانت فرصة العمر!

صحيح أن الشعب فوجئ بما حدث, لكن المفاجأة أيقظت وعيه فى الحال, فوقف إلى جانب القوات المسلحة لإيمانه بأنها تتولى تصفية حسابه مع جلاديه!

إن الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى, كان يرى صوراً للشعب مليئة بالأمل والثقة!

إن بائع "الخروب" الذى وزع ما يحمله على الناس مجاناً فى ميدان السيدة زينب, كان يعبر بتصرفه ذلك عن إيمان الشعب بما حدث, وأيضاً كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة إلى قيام ثورة..

وغير بائع الخروب: مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة.. بثورة القوات المسلحة من أجله!

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث 23 يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الأساسية, وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل:

الأولى: السيطرة على القوات المسلحة.

والثانية: السيطرة على البلد..

والثالثة: طرد الملك..

وفى الإسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يترقبان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة.. وربما كانت الحكومة والملك, بل وكل أعداء الشعب.. كانوا لا يتوقعون أن يمضى الجيش إلى أبعد من هذا.. لقد ظنوا أن المسألة لا تعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط تحقيقها, ثم ينتهى الإشكال..!

فى أقل من 24 ساعة

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الأساسية, وربما استغرق وقتاً طويلاً بعد بدء العملية..

لكن ما أن انتصف نهار 23 يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة, بل إن الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضاً!

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة.. أى سيطرة قيادة ثورة يوليو على البلد.. يبدو من فرحة الناس بما حدث.. وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق!

تمت- إذن- مرحلتان من الخطة الأساسية فى أقل من 24 ساعة لقد كانت- فعلاً- معجزة لم نتوقع أن تتم على الإطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جداً!.. ولم يبق إلا مرحلة الثالثة.. طرد الملك!

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية...

الــفـصـل الــســابـع

طـــرد المـــلك فـــاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القلاع واحدة وراء الأخرى فى ساعات, وكانت الخطـــة الأساســية لقيــادة الضباط الأحرار تتضمن ثلاث مراحل..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات..

وسيطر الضباط الأحرار على الجيش تماماً فى الصباح 23 يوليو عام 1952.

وسيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه, فقد كـــان الــشعب يترقــب تلــك الفرصة– فرصة العمر– وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الأحرار من الراديـــو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا لتوجيهات قياداتها الجديدة, فلــم يقـــع حـــادث تخريب واحد, ولم تحدث فتنة..

لم يجد أعداء الجيش فرصة لإحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية مـــن الخطـــة, وهى السيطرة على البلد..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من أنه فوجئ بما حدث فى ذلك اليوم, وكان ذلك الوعى هو المظهر الحقيقى القوى لسيطرة قيادة الضباط الأحرار على البلد.. وكان معنى وقوف الشعب وراء أحداث 23 يوليو هو أن الشعب يريد ثورة.. يريد الخلاص..!

وكل شئ كان هادئاً فى البلاد.. لا دم ولا بارود.. لا قتلى ولا جرحى.. لـــم تنـــسف مدينة ولم تتزلزل الأرض تحت أقدام الناس..!

لقد كانت ثورة عجيبة, لم يشهد بلد من بلاد العالم التى تحررت مثيلاً لها.. كل ثـــورة كان لها ضحايا يعدون بالألوف وبالملايين إلا ثورة مصر..!

كل ثورة كان لا يمكن أن تتقدم خطوة إلا إذا فتكت طبقة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الأشلاء والدم والأنقاض.. إلا ثورة مصر.

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون.. إلا ثورة مصر..!

إن كل شئ كان هادئاً فى مصر يوم الثورة..

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور.

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم 23 يوليو, وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاح وسرعة مذهلة, لا تكاد تصدق!

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة العربية المصرية ليس لها أعداء..!؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا, فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها..

فكيف إذن لم تحدث مجزرة..!؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع, وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد, الذين يريدون التحرر..!؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته أو فى عمله أو فى المقهى.. كل الشعب كان هادئاً ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة..!

فما هو السر؟.. لماذا تكون الثورة المصرية العربية هى وحدها التى تتم هكذا فى هدوء, وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول؟

لماذا أخذت الثورة المصرية العربية هذا الشكل السلمى العجيب!

إننى هنا أقول مرة أخرى إن السبب فى هذا هو أن أعداء الثورة المصرية العربية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة, ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء بعد أن أصبح لتلك القوات قيادة جديدة..

فكان على هؤلاء الأعداء أن يستسلموا أو يبادروا, فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم.. لم يعد معهم جيش ولا شعب!

هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم, وهكذا مضت فى طريقها بعد 23 يوليو!

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد إلا مرحلة واحدة ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها, لم يبق إلا طرد الملك...

وجلسنا فى مبنى القيادة, بعد أن أعد "عبد الحكيم" البيان الذى سيذاع على الشعب فـــى صباح 23 يوليو, وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما, وكـــان اللـــواء "نجيب" قد عرف أن الجيش قام بثورة بعد أن سأل "جمال" عن الحكاية فرواها له, وأخبره أن الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش, ثم طلب منه أن يحضر فورا إلى مبنـــى الرئاســـة وأرسل له سيارة لتعود به..

وفى اللحظة الأولى التى وطأت أقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش, كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه.. كان قد أصبح زعيماً, وهو الذى كان لا يعلم.

كان قبل حضوره بلحظات يسأل "جمال" عن الحكاية, لأن "المراغى" طلب منه تهدئة– الأولاد– الذين عملوا "دوشة" عند كوبرى القبة!

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة مع الملك, حتى تطمئن إلى أنه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد.. وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده..

وجلسنا نتكلم, وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة, أو بعبارة أدق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء, وكان "نجيـــب" لا يـــزال فـــى منزله.. لم يحضر إلينا بعد.. فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا..

واستعرضنا أسماء رجال السياسة الذين يمكن أن نفرضهم على الملك رغما عنه!

ولم نكن نريد على الإطلاق واحدا من رجال الأحزاب, مهما كان موقفه من القـــصر, لأننا أردنا ألا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مـــع مـــصالح الـــشعب.. فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكـــم, ولـــم تكـــن مـــسألة حكومـــة مـــن الحكومات!..

ورأينا أن "على ماهر" هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب, وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الأمور بعد 26 يناير المشهور!

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك...

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من "الهلالى" الذى كان موجـودا فـى الحكـم حينئذ, فإذا خضع الملك لرأينا وجاء "بعلى ماهر" يمكن بعد ذلك أن نبعث به إلى الملك يحمل طلبات لنا– كما تقضى المناورة– فإذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك إيذانا ببدء المعركة معه!

وبعد أن انتهينا من هذه المسألة, فتح باب الحجرة ودخل اللواء "نجيب".. قائد الثورة..

البحث عن عنوان "على ماهر"

وفى الساعة التاسعة من صباح 23 يوليو اتصل "نجيب الهلالى" بنا مرة ثانية, وحاول أن يتفاهم, وتحدث إليه "محمد نجيب".. وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه, بمـا يجـب أن يقوله "للهلالى"..

وانتهت المحادثة ولم ينجح "الهلالى" فى إقناعنا بشىء...

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال "بعلى ماهر" لنبدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم.. أى طرد الملك..

ولم أكن أعرف عنوان منزل "على ماهر" ولا أحد فى الحجرة كان يعـرف العنـوان أيضاً.. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة.. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل "على ماهر" دخل علينا الأستاذ "إحسان عبد القدوس".. وسألته على الفور هل يعرف منزل "على ماهر", ورحب "إحسان" بتوصيلى إلى المنزل.. وقمت معه على الفور..

هل هذه طائراتكم؟

وصعدنا إلى الدور الثانى فى المنزل, وجلسنا فى الشرفة فى انتظار "على ماهر" وجاء "على ماهر", وقبل أن يجلس قال لى إن عنده فى البيت– الآن– الأستاذ "إدجار جـلاد", فهـل يأتى به ليحضر المقابلة.. فقلت له:

– لا.. ما يجيش.. عايزين نقعد وحدنا..

وبدأت أتحدث إليه عن مهمتى.. قلت له إننى موفد من القيادة لكى تؤلف الوزارة..

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة.. وانتظرت رد "على ماهر".. ولكنى شعرت أنه يريد أن يسمع كلاما أكثر.. وفى هذا اللحظة بالذات مرت أربـع طـائرات مـن ذوات الأربعـة

محركات فوق رؤوسنا, على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها غطت على حديثنا فسكتنا إلى أن ابتعدت, وهنا التفت "على ماهر" وسألنى:

– الطيارات دى بتاعتكم؟

وأجبته مبتسما لأطمئنه:

– نعم, والقوات المسلحة كلها لا تخضع إلا لقيادتنا اليوم.. ومضيت أتحدث إلى "على ماهر" بصراحة.. تكلمت عن الفساد وعن الأوضاع الغريبة التى تمر بها البلاد, وعن الملك وتصرفاته الشاذة..

(وهنا شعرت بقدم "إحسان عبد القدوس" تدوس على قدمى.. وبدأ "إحسان" يزغدنى خلسة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة)

لكنى لم أتوقف.. ومضيت أتكلم بصراحة أكثر, حتى يفهم "على ماهر" وجهة نظر القيادة.. ثم عدت أقول لعلى ماهر إن القيادة تكلفه بتأليف الوزارة..

وقال "على ماهر":

– أنا مستعد أتعاون بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة!

وقلت له:

– تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة فجهز نفسك من الآن..

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف:

– فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا...

وقبل أن أنصرف قال "على ماهر":

– الزيارة دى ستبلغ للملك.. وأظن من الأحسن أبلغها أنا دلوقت "لإدجار جلاد" وهوه موجود عندى!

وقلت له:

– تقدر تقول اللى تحب تقوله.. إحنا بنشتغل دلوقت على المكشوف وعلى فكرة "نجيب الهلالى" اتصل بنا النهاردة وعرف أننا رفضنا بقاءه فى الوزارة.. ولابد أنه بلغ رأينا للملك...

ثم غادرت منزل "على ماهر" إلى القيادة...

لقد بدأت المناورة مع الملك..

عم "ناريمان"

وجلست أروى تفاصيل ما دار وبين "على ماهر" للزملاء.. ثم جاء من يخبرنا أن "مصطفى صادق" عم "ناريمان" يريد مقابلة أحد من القيادة.

لقد جاء "مصطفى صادق" ليعرض علينا تعيين اللواء "نجيب" وزيرا للحربية.

وقال لنا "مصطفى صادق" أيضاً, إنه ما علينا بعد تعيين "نجيب" وزيرا للحربية إلا أن نذهب إلى قصر رأس "التين" ونقيد أسمائنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الإشكال!

وفوجئ "مصطفى صادق" برفض العرض الذى حمله إياه "فاروق"...

وقلنا له لابد أن يؤلف "على ماهر" الوزارة بلا مناقشات أو أخذ ورد.

ثم قلنا له ونحن نشيعه إلى الباب إن "على ماهر" سيحمل طلبات أخرى لنا إلى جلالة الملك..

وخرج عم "ناريمان" بعد فشله فى مهمته..

وكان البيان الذى أذعناه إكمالا لخطوات "المناورة" لا يتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه.. أى أن الحركة مقصورة على الجيش فقط..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا..

ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم 23 يوليو.

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر 23 يوليو جاء عم ناريمان إلى القيادة مرة ثانية, وكان يحمل عرضا جديدا من الملك...

قال لنا: إن جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة.

وشعرت بسخف الاقتراح, إلى حد أننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجـرة فطردناه منها.. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الأولى.

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب وشعرنا فى تلك اللحظة أن المناورة قد بدأت تنجح.

وقد اتصل بنا "على ماهر" بعد خروج "مصطفى صادق" بقليل, وقال لنا: إنــه تلقــى الأمر تشكيل الوزارة.

ثم قال أيضا إن الملك طلب إليه أن يسافر فى الحال إلى الإسكندرية, وإنه– أى "على ماهر"– يريد مقابلتنا قبل أن يسافر, ليعرف وجهة نظرنا تماما, ثم يحمل طلباتنـا بعـد ذلـك ليبلغها إلى صاحب الجلالة..

وقال "على ماهر" إن الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه.

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك.. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فـى ذلـك اليوم, هى أننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والأذناب.. كانوا يعتقدون أنها أزمة لا تلبث أن تحل, ثم تعود المياه إلى مجاريها.. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فـى أمـاكنهم.. والشعب أيضا.. لقد كانت المناورة فى بدايتها..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك, والملك فى الإسكندرية ينتظر وصول "على ماهر" إليه ليطمئنه بعد أن تحل الأزمة بإجابتنا إلى طلباتنا...

وقد حددنا "لعلى ماهر" الساعة الخامسة والنصف فى مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش.. ثم بعد ذلك يسافر إلى الإسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة...

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة.. "جمال عبد الناصر", و"محمـد نجيـب", وأنا, وتوجهنا إلى منزل "على ماهر".. وإكمالا للمناورة سلمنا "على ماهر" عريضة دونت فيها طلبات الجيش...

إننى أذكر أننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنا "على ماهر" قبل أن نقابله: إن الملك فى انتظار طلباتنا.. فلم تكن فى رؤوسنا طلبات معينة, إن الشىء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد

منا هو مسألة تغيير نظام الحكم.. أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شئ لم يخطـر على بالنا إطلاقا..

إن الأحوال فى 23 يوليو كانت تترى بسرعة فائقة... لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهـذه الظاهرة العجيبة.. للسرعة الفائقة..

وأذكر أننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق.. كان لابـد أن نمـضى فـى مناورتنا مع الملك إلى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه.

واتفقنا- بعد جهد- على أن تكون الطلبات التى سيتقدم بها "على ماهر" إلى صـاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية, فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب. وبهذا نكـون قـد نجحنا فى جر شكله, فتبدأ بعد ذلك عملية طرده.

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق. كان أساسها كمـا قلـت طـرد الحاشية...

وبعد أن قابلنا "على ماهر" فى الساعة الخامسة سلمه "جمال عبد الناصر" تلك الطلبات, واستعد "على ماهر" للسفر على الفور, فطلبنا منه أن يخطرنا من الإسكندرية بالنتيجة, وقال له "جمال": إن المسئولية ستقع على الملك إذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال...

وخرجنا من منزل "على ماهر" بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا... خرجنا ليبدأ "جمال عبد الناصر" و "ذكريا محيى الدين" فى وضع تفاصيل خطة طرد "فاروق" وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الإسكندرية وتأمينها...

تحرك القوات إلى الإسكندرية

قطعنا- فى المناورة- مع الملك شوطا بعيدا.. سافر "على ماهر" إلى الإسكندرية يحمل طلباتنا إلى صاحب الجلالة, وبعد أن أكد له "جمال" أن المسئولية ستقع على الملك فى حالـة إجابته الطلبات كلها!

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى إسقاطه عن عرشه, وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الأساسية..

وقد عدنا من منزل "على ماهر" فى مساء ذلك اليوم (23 يوليو) إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الأحداث...

واللواء "نجيب" كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا...

كنا لا نشك فيه, ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة, وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها "لفاروق"...

وصحيح أنه لم يكن بيننا أحد قد اكتشف حقيقته بعد.. فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا. وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع إفهامه بأنه القائد والزعيم وصانع كل هذه الأحداث التاريخية.. كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه...

قررنا أن نجعل منه, زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القادمة ضد جميع أعدائه.. أما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا فى ثورة "نجيب"!

وانقضى يوم 23 يوليو, وجاء يوم الثورة الثانى, وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيادة لم ننم ولم نسترح, والعرق يغرق ثيابنا, فالحر كان شديدا.. لكننا لم نشعر بالإرهاق على الإطلاق. كنا نعرف أن أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا, وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من أجل مصائر الملايين.

لم نكن نعرف- بالتحديد- ماذا سوف يحدث لنا فى اليوم الثانى للثورة, لأن الأحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها, والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها.

كل الذى كنا نعرفه أننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد..

وبعد ذلك لتأت الأحداث بما تشاء من مفاجآت, فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غداً أو بعد شهر.. حتى لو ظهرت فى الأفق بوادر تدخل جهات أجنبية, فقد كان كل واحد منا قد أعد نفسه قبل أن يغادر بيته وأولاده لمعركة يخوضها.. وربما مات, وربما فقد ذراعا.. المهم أننا جميعا كنا على استعداد للنزول إلى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الأعداء لو فكروا فى الوقوف أمام الثورة...

"جمال" يأمر بتحرك القوات

ووصل "على ماهر" إلى الإسكندرية, وقابل صاحب الجلالة على الفـور وقـدم لـه طلباتنا, وفى صباح اليوم التالى للثورة- يوم الخميس 24 يوليو- اتصل بنا "على ماهر" مـن الإسكندرية وقال إن صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا!

وطلب "على ماهر" أن نوفد إليه أحد أعضاء القيادة إلى الإسكندرية ليخبره بالتفاصيل, ووقع الاختيار علىَّ لأقوم بهذه المهمة..

وحتى ذلك الوقت كان "على ماهر" لا يعرف ماذا نهدف إليه بالتحديد كان يعتقد حتى صباح الخميس 24 يوليو أن الأزمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا.. والمياه سـتعود إلـى مجاريها قطعا, وخاصة وأن الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة لـه.. وهـو طلـب إبعـاد الحاشية...

وإن كان قد قال "لعلى ماهر" إنهم- أى أفراد الحاشية- كأهل منزلى فكيـف يتـدخل الجيش فى شئون بيتى؟!

"على ماهر"- إذن- ظن الأزمة انتهت بعد أن تحدث إلينا بالتليفون, وأبلغنا بموافقـة صاحب الجلالة على طلباتنا...

ولم يكن يعرف- مثلا- أنه بعد أن غادر القاهرة فى اليوم الـسابق- أى مـساء 23 يوليو- لم يضع "جمال عبد الناصر" دقيقة واحدة, فجلس ومعه "ذكريا محيى الدين"- وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات- وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الإسكندرية واحتياجات عمليـة طرد الملك..!

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات...

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الإسكندرية وتأمين مرافقهـا وانتهـت الدراسة قبل أن يتصل "على ماهر" بنا فى صباح الخميس (24 يوليو) وأصدر "جمال" أمـرا بتحريك قوة إلى الثغر.. وكانت القوة التى أمر "جمال" بتحريكها لإسقاط الملك وطرده عبـارة عن لواء مشاة وآلاى دبابات لتأمين المدينة, واعتبرت مدفعية قواتنا فى الإسـكندرية ضـمن القوة التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الخطة... طرد الملك...

"على ماهر" يسأل... ما الداعى لهذا؟!

وبالرغم من أن اللواء "محمد نجيب" كان يجلس معنا فى حجرة واحدة, بـل وحـول مكتب واحد فى تلك اليوم, إلا أنه لا يشترك مع أحد فى إعداد أى شئ, فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى إلينا وقبل أن يعرف أنه زعيم الشعب!...

وحتى التفاصيل كان يعدها "جمال" والزملاء وهم من حول "نجيب" ويبتسمون له فـى احترام وثقة وهو صامت يترقب الأحداث!

وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة 24 يوليو... أى فـى نفـس اليوم الذى قبل فيه الملك طلباتنا!

وقد فوجئ "على ماهر" والملك بهذا الذى حدث.. فوجئا بالطـابور المـسلح يـدخل الإسكندرية وكانا قد اعتقد أن المياه ستعود إلى مجاريها بعد أن قبلت الطلبات!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الإسكندرية بالتهليل والهتاف الـذى شـق عنان السماء...

وكما حدث فى القاهرة صباح 23 يوليو حدث فى الإسكندرية... التف الشعب حـول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن أفرادها, ويجرى خلف المصفحات فـى الـشوارع بعـد أن غمرته الفرحة..

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر أماكنها طبقا للخطة, اتصل بنا "على ماهر" مرة أخرى بالتليفون ليسألنا:

– ما هو الغرض من وصول تلك القوات؟.. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم؟!

وأردف "على ماهر" يقول فى التليفون:

– إن الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات.. ويسأل ما هو الداعى لهـذا, بعـد أن أجابكم إلى ما تريدون؟!

وقلنا "لعلى ماهر"

– لا شئ.. لا شئ.. بالمرة.. طمئن مولانا, وقل له إن هذه القوات أرسلناها لتـأمين الإسكندرية, ومنع الاضطرابات والحوادث!...

"نجيب" يطلب السفر معى...

وبقى التنفيذ...

متى تبدأ العملية؟!

إن قواتنا فى الإسكندرية, وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولهـا يؤيـدها ويهتـف لأفرادها من الأعماق.. لا اضطرابات ولا حوادث...

كل شئ كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم 23 يوليو...

وكان "جمال" قد كلفنى– كما قلت– بالسفر إلى الإسكندرية بعد أن تحدث إلينا "علـى ماهر" من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات.

ثم طلب أن يسافر أحدنا إليه ليخبره بالتفاصيل...

وطلب "جمال" منى أن أؤجل سفرى إلى صباح الجمعة– 25 يوليو– حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها...

وقررنا عزل الملك يوم 25 يوليو...

وفى صباح الجمعة– 25 يوليو– طلب "محمد نجيب" أن يسافر معى إلى الإسكندرية, وكنا قد اتفقنا مع "على ماهر" على أننى أنا الذى سأقابله وحدى, فرفضنا طلب "محمد نجيب", لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى!

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة, وبشرط ألا يحضر معى مقابلة "علـى ماهر" ساعة الوصول, وإنما يذهب لمقابلة "على ماهر" بعد الظهـر, وهـو يحمـل الإنـذار التاريخى المشهور, الموجه إلى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العـرش ويغـادر البلاد...

"جمال" قال لى...

وكان علىَّ أن أغادر القيادة إلى المطار.. وقبل أن أغادر المبنى أخذنى "جمال عبـد الناصر" إلى ركن من الردهة, وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنـه سـاعة أن يقرر أمرا.. الصلابة والعزم القوى والإصرار التام.. وكانت فى يده سيجارة, وقال لى وهـو ينفخ دخان سيجارته ورأسه قليلا إلى الأمام كعادته:

– شوف يا "أنور".. لازم نخلص من "فاروق" النهاردة أو بكرة بالكتير.. لأن الموقف ما عادش يحتمل!

ونظرت إلى وجه "جمال" وهو يكلمنى, وعرفت أنه يتحتم فعلا الخلاص من "فاروق" بأية صورة اليوم– الجمعة– أو غدا.. إن "جمال" لا يلقى الكلام جزافا.. فهو لا يقرر أمرا إلا إذا عرف أن لا مناص منه حتى لا تحدث كارثة!.

اليوم أو غدا.. لابد أن يطرد "فاروق".. لقد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين.. والموقف لا يحتمل وجودها!

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا.. ونحن لم نخلقها.. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الإطلاق أن يظهر بيننا فى اليومين المذكورين إنه "رشاد مهنا"!.

زوبعة على أبواب القيادة!

كان "رشاد" فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه.. وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك "جمال سالم"..

وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها.. وبعد أن عرف أن الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش تماما.. فى ليلة الثورة الأولى, وبعد أن وصلت العريش إشارة النجاح!

وعندما عرف أن الضباط الأحرار نجحوا تماما وأنه سوف لا يكون له مكان على الإطلاق بينهم, وخاصة وأن "جمال سالم" كلف "صلاح حتاتة" بقيادة لواء العريش.. أقول بعد أن عرف "رشاد" أن الثورة نجحت بدونه, جاء إلى القاهرة بلا إذن وتوجه من فوره إلى سلاح المدفعية– وقد كان تابعا له– وكان ضباط السلاح لا يعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة.. كانوا لا يعلمون أنه رفض التعاون ورفض أن يشترك فى العملية.. وظن ضباط السلاح أن "رشاد مهنا" هو أحد أقطاب الثورة.. وربما أنه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الأعناق.. ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات, وجاءوا إلى القيادة بالبطل!

ورأينا موكب "رشاد مهنا" يدخل من باب القيادة.. وأمامه راكبوا الموتوسيكلات.. وكانت مفاجأة.. شعرنا على الفور أن زوبعة على الأبواب!

وكنا لا نستطيع أن نقول لضباط المدفعية أن هذا الرجل ليس واحدا منكم.. لم يشترك معكم فى عمل.. إنه رفض أن يعاونكم.

كان الموقف- إذن- حرجا للغاية ولا يحتمل أية خلافات.. فالملك لا يزال فى البلاد..

تلك كانت إحدى المشاكل التى أطلت علينا فى اليومين الماضيين وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لأن الموقف كما قلت كان لا يحتمل أية خلافات.. ومعركة "فاروق" على وشك أن تقع..

أما المشكلة الثانية, فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود "رشاد مهنا".. أعنى مشكلة الخلافات.

الإنجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البلد دفعهم الحرص الشديد.. وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الأول.. وفى يومها الثانى, إلى أن يجيئوا إلينا ليقولوا:

- "فاروق" اتصل بفايد.. الإنجليز فى طريقهم إلى القاهرة..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما سوف يقع.. وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك.. كنا نعرف أن ما يقولونه ليس صحيحا.. إلا أننا كنا قد قررنا أن نعد أنفسنا لكل الاحتمالات.. وأسوأها.

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام 23, 24, 25 يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى يحتمل أن يزحف منها الإنجليز على القاهرة.. إذا فكروا فى التدخل..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل إلينا فى مبنى القيادة ساعة بساعة تلك كانت المشاكل التى رأينا أن وجود "فاروق" يوما أو يومين أخرين سيضاعفها.

يا باشا.. قررنا عزل الملك!

وأعود إلى الموضوع.. فبعد أن كلمنى "جمال" قبل مغادرتى القيادة إلى الإسكندرية توجهت ومعى اللواء "محمد نجيب" إلى المطار, وانطلقت بنا الطائرة إلى أرض العملية.. إلى الإسكندرية.. وفى مطار النزهة وجدنا مندوب "على ماهر" فى انتظارنا.

وحسب الاتفاق توجه اللواء "نجيب" إلى القيادة فى مصطفى باشا, وتوجهت أنا مع مندوب "على ماهر" إلى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى..

وقضيت ساعة ونصف الساعة مع "على ماهر".. سألنى عن القوات التى وصلت الإسكندرية مرة ثانية, وكانت الحيرة بادية على وجهه, ومضى يقول لى:

– الملك وافق على الطلبات كلها.. واستقالات أفراد الحاشية فى جيبى أهه.

وأخرجها من جيبه ليرينى إياها, وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لأقرأها, ولفت نظرى توقيع إلياس اندراوس على استقالته, فقد وقع صاحبها عليها هكذا: "إليـاس اندراوس" وبخط ردىء للغاية..

وهززت رأسى فى دهشة.. إن "إلياس أندراوس" كان أحد الذين يحكموننا نحن الشعب.. كان محسوبا علينا كمصرى ويؤلف الوزارات ويسقطها.. وهو لا يعرف كيف يكتب اسمه.. لا يعرف لغة البلاد التى ينتمى إليها..

وتنبهت على صوت "على ماهر" مرة أخرى وكان لا يزال حائرا.. وسألنى مرة ثانية عن حكاية القوات التى جاءت إلى الإسكندرية.

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث إليه فى الموضوع لأول مرة.. قلت له وكان يبدو– وقتئذ– مذهولا للغاية:

– بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك "اليوم".

لا خيار لك, فالشعب مع الجيش!

وقبل أن يفيق "على ماهر" من ذهوله أردفت قائلاً له:

– اللواء "نجيب" سيجىء إليك فى الساعة السابعة وهو يحمل إنذارا موجها إلى الملك من القيادة: بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد, وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الإنذار..

ومضيت أقول "لعلى ماهر":

– أنصحك– وأنت الذى ستتوجه بهذا الإنذار– أن تؤكد للملك أنه لا فائدة من المقاومة إطلاقا, لأن الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت والأوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن..

وكان "على ماهر" لا يزال فى ذهوله الشديد.. فاقتربت منه قائلا:

– أنت لا خيار لك فى هذا.. بل إننى أعتقد أنك مسئول عما أصاب البلاد إلى حد ما.. لأنك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام 1936.

وهنا لاحظت أن "على ماهر" تحمس قليلا.. فقال:

– أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد.. لكننى لم أكن أتصور أبدا أن يصل على يد مربيه "أحمد حسنين" إلى ما وصل إليه اليوم.. إنه هو الذى كتب بيده أفعاله ومصيره.

ومضى على ماهر يقول لى:

– لعلك أنت تعلم, ويعلم الناس, أن "فاروق" أبعدنى منذ إحدى عشرة سنة بتأثير من مربيه "أحمد حسنين" والحاشية.

وسكت "على ماهر" ثم عاد ينظر إلىَّ.. ربما ليتأكد من أن ما قلته له منذ لحظات هو الأمر الواقع.. وقمت لأؤكد له مرة ثانية أن لا خيار له فى الأمر فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة.. وكان معه أيضا بولكلى إلى مصطفى باشا.. حيث كان "نجيب" هناك, وكان معه أيضا "ذكريا محيى الدين"– مدير العمليات– و"جمال سالم" و"حسين الشافعى" وأخبرتهم أن "على ماهر" مستعد لتلقى الإنذار فى الساعة السابعة من هذا المساء.

"ذكريا محيى الدين" يفاجئنا!

كان "ذكريا محيى الدين" فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الإسكندرية ثبت فوقها دبابيس عديدة, وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمراً ثم يخرج.. و "ذكريا" كأنه غير موجود فى الحجرة.. لا يتحدث إلينا ولا يلتفت إلى أحد.. كان منهمكا فى "البحلقة" فى الخريطة, وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها.. فقد كان مديرا للعملية..

وكتبنا صيغة الإنذار, ثم اتصلنا "بجمال عبد الناصر" فى القاهرة وأخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى "لعلى ماهر".. ثم قرأنا له صيغة الإنذار الذى سيوجه إلى الملك فأقرها..

ثم اتجهنا بعد ذلك إلى "ذكريا محيى الدين" فى الركن الذى انتحى فيه بعيداً عنا فى الحجرة.. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة.. لكى نسلم الإنذار ثم تبدأ عملية طرد "فاروق"..

وفوجئنا "بذكريا" يقول فى هدوء:

– العملية لا يمكن أن تتم الليلة..

وذهلنا.. وسألناه فى صوت واحد:

– لماذا ؟!..

ثم بدأنا نتناقش.. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران.

رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها.. "فذكريا محيى الدين" أصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئاً للغاية, ونحن من حوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ.

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الإنذار الذى سيوجه باسم القيادة إلى الملك, اتجهنا إلى "ذكريا" نسأله متى تكون قواته جاهزة؟..

وبهدوء تام أجاب:

– العملية لا يمكن أن تتم الليلة!..

تلك كانت مفاجأة "ذكريا محيى الدين" لنا فى ذلك اليوم.. 25 يوليو فهو كان مديراً للعمليات, وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الإسكندرية أثناء قيامها بعملية طرد "فاروق".

وقال لنا "ذكريا" إن القوات لم تنل قسطها من الراحة, وبعضها وصل إلى المدينة متأخراً, وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين, وقال إن القوات بعد أن تستريح وتنال وجبة ساخنة, يمكن أن تبدأ المعركة على الفور!..

وقلنا له: إن مسألة التعب والإرهاق هذه لا يصح أن نسلم بها, لأننا جميعاً لم ننـــل أى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال.. ولا نزال نقف على أقــدامنا متحفــزين لخــوض هــذه المعركة.. وغيرها!..

وبهدوء أيضاً أجاب "ذكريا":

– ما ليش دعوة بيكم.. لكن قواتى لابد أن تستريح, وكل شئ حيكون جــاهز بكــرة الساعة الثامنة صباحا.

ولم يفلح أحد منا فى إقناع "ذكريا", لكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (25 يوليو).

وسلمنا الأمر لله.. ثم اضطررت إلى الاتصال "بعلى ماهر" فى بولكلى, لكى أخبره أن موعد الساعة السابعة مساء قد تأجل إلى التاسعة من صباح اليوم التالى.

وذلك الموعد كنا قد حددناه "لعلى ماهر" لكى نقابله فيه ونـــسلمه الإنـــذار التـــاريخى الموجه إلى الملك "فاروق" من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد..

إعدام "فاروق"

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة..

إن "جمال سالم" يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد, إنه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى جرائم يستحق من أجلها الإعدام..

وظل جمال سالم مصراً على رأيه هذا.. وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهــو أن محاكمة "فاروق" سوف تستغرق وقتا, ونحن نريد التخلص منه فى أقرب وقت, اليوم أو غدا.. ويكفى أن يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة إلى نبقيه فى البلاد إلـــى أن يعــدم, فالأحداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة..

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة "بمصطفى باشا" تلك الليلة حتى بلغــت الــساعة الثانية صباحا, وهنا قررنا عرض موضوع– مصير "فاروق"– على الزملاء بقيـــة أعــضاء القيادة فى القاهرة.

فالهيئة التأسيسية للضباط الأحرار يمكنها أن تجرى عملية اقتراع حــول المــسألة.. وسواء صوت أعضاؤها ضد اقتراح "جمال سالم" أو أيدوه فالمسألة حينئذ تصبح أمراً واقعاً..

واستقل "جمال سالم" طائرة فى تلك الساعة وطار بها إلى القاهرة, ليأخذ الأصوات حول مصير "فاروق".. ثم عاد إلينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى بقية الزملاء.

وكانت الأصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى: تسعة أصوات فقط.. وهم أعضاء الهيئة التأسيسية, واللواء "محمد نجيب" لم يكن عضوا فى الهيئة فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع.

وقد رجح الزملاء كفة الرأى القائل بإخراج "فاروق" من البلاد دون محاكمة.. لأن المسألة– كما قلت– كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت!

وقد علمت من "جمال سالم" بعد عودته من القاهرة أن "جمال عبد الناصر" اتصل "بعزيز المصرى" فجر ذلك اليوم– 26 يوليو– وأخذ رأيه فى الموضوع.

مستشار السفارة الأمريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح– 26 يوليو– كان "ذكريا محيى الدين" يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الإسكندرية وشرح لهم واجباتهم ثم أصدر إليهم الأوامر النهائية.

وبعد نصف ساعة تحركت القوات, ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحاً..

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء "نجيب" إلى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم "على ماهر" الإنذار الموجه إلى الملك.. وقبل أن نصل إلى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الأمريكية فى الردهة, وكان المستشار الأمريكى فى حالة يرثى لها.. كان يرتعش, وكان فقد السيطرة على أعصابه تماماً.. وقال موجها حديثه إلينا:

– أنا قادم الآن من رأس التين, إن هناك معركة.. وأردف المستشار الأمريكى قائلاً وهو يرتعش:

– ما سبب هذا؟.. إن الملك فيما نعلم قد أجاب كل طلبات الجيش, وأريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند رأس التين, ويهمنى أن أطلب باسم "واشنطن" ما يفيد تأكيد, سلامة "فاروق" الشخصية.

وصمت المستشار الأمريكى, ثم نظر إلينا فى حيرة..

وقال له اللواء "نجيب":

– إننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع وتركنا مستشار السفارة الأمريكية لندخل مكتب "على ماهر".

"على ماهر" ظن أن الجيش تراجع

وبعد أن صافحنا رئيس الوزراء, مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية أخرجت "الإنذار" من حافظتى وقدمته إلى اللواء "نجيب" فسلمه هو بدوره "لعلى ماهر".. وكان الإنذار من صورتين, وقع "على ماهر" على إحداهما بتسلم الصورة الأصلية.

ورأيت "على ماهر" يلتفت وفى عينيه تساؤل واضح, ولم يكن قد بدأ يقرأ الإنذار وفهمت فى الحال أنه يريد أن يعرف إن كان هذا هو "الإنذار" الذى حدد مصير "فاروق"؟!

ويبدو أن "على ماهر" كان قد اعتقد أننا تراجعنا عن مسألة طرد "فاروق" وخاصة بعد أن تأجل ميعاد مقابلتنا له من السابعة مساء إلى اليوم التالى!

وقد أومأت برأسى "لعلى ماهر" وكأنى أقول له.. نعم.. هذا هو الإنذار بعينه!..

وبدأ "على ماهر" يقرأ الإنذار, ثم التفت إلينا قائلاً بعد أن انتهى من قراءته:

– هذا هو ما يستحقه فكثيراً ما نصحته ولم يستمع أبداً إلى نصحى وغادرنا مكتب "على ماهر".. وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه إلى الملك ويسلمه الإنذار.

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم, وقبل أن نقابله, وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصاراً حول سراى رأس التين.

وقبل أن يستقل "على ماهر السيارة لتتجه به إلى رأس التين قلت له وأنا أهمس فى أذنه:

– إن كنت ترى أنك فى حاجة إلى حضورى معك فأنا مستعد ولكنه قال: "لا داعى لذلك فى هذه الخطوة".

ومضت به السيارة إلى الملك.. ليسلمه إنذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية ظهراً. ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم.. وإلا!..

المدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد "فاروق" قد أقامت حصاراً على سراى رأس التين وسراى المنتزه, وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة.

وحول سراى رأس التين, حيث كان الملك هناك, كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية. وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعاً يتحكم فى سراى رأس التين, بحيث يمكن هدمها إذا ما استدعى الأمر ذلك..

المعركة التى حطمت الملك

وكان على قوات المشاة أن تقدم لحصار السراى غير أن الأوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى إلا بأمر من القيادة.

وأثناء تقدم تلك القوات لإتمام الحصار خارج الأسوار حدث أن صعدت قوات الحرس إلى الأبراج فوق تلك الأسوار, وراحت تنصب عليها مدافع "الماكينة" لاعتقادهم أن القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال, وواجبهم يقضى بالدفاع عنها.. فهم كانوا لا يعلمون شيئاً.

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى, وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى "العملية".. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الأبراج, فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانسحاب...

وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة, كانوا ينصبون المدافع فوق الأبراج وهم ينظرون إلى إخوانهم جنود المشاة, وهم خارج الأسوار, وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب.. فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع الماكينة على إخوانهم هؤلاء.. وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى, لأنه لا توجد أوامر جديدة قد وصلتهم, حتى يمكنهم أن يتخذوا موقفاً مختلفاً.

وفى هذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة– طائشة– من مدفع كان أحد الجنود ينصبه فوق البرج.. ويبدو أن الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى, وفى الحال لم تجد قواتنا بدا من إسكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ولا أحد كان يعلم ساعتها أن تلك الرصاصة خرجت خطأ وفتحت

النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصة, وفعلاً سكت المدفع بعد أن أصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التى حول الأسوار.

تلك كانت المعركة التى أفزعت مستشار السفارة الأمريكية, ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت "فاروق" يفقد أعصابه ويتهاوى كالحطام...

"فاروق" يستنجد بالسفير الأمريكى!

ويقول "على ماهر" إن تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على "فاروق" والحاشية, فما كادت الطلقات تتابع حول السراى حتى اعتقد "فاروق" أنه ميت لا محالة.. ولم يتمالك نفسه فأصيب بحالة- هيستيريا- وأسرع بطلب "على ماهر" فى فندق "سان ستيفانو".. فلما وجده لم يستيقظ بعد, ظل يصرخ فى التليفون طالبا من إدارة الفندق إيقاظه فى الحال.. وفعلاً استيقظ "على ماهر" وكلم الملك, فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره.

وفى نفس الوقت استنجد "فاروق" بالسفير الأمريكى, وأرسل السفير سكرتيره الخاص, ثم بعد ذلك أرسل لنا مستشار السفارة.

كانت معركة فاصلة.. ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها, وهى إن دلت نتائجها على شئ فإنما تدل على أنه لا توجد قوة- مهما كانت- يمكنها الصمود أمام تكتل الجيش والشعب.

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء "عبد الله النجومى" ومعه أربعة ضباط من الحرس, وقالوا لقائد القوة المحاصرة إنهم يريدون الذهاب إلى القيادة فى "مصطفى باشا" للتفاهم.. وجاءوا إلى القيادة فعلاً.. وكانوا فى حالة عصبية مروعة, فحجزنا هناك.. لتستريح أعصابهم.. فهم كانوا لا يعرفون شيئاً ولا يعلمون ماذا فى الأفق!

"فاروق" طلب استثمار ثروته!

واتصل بنا "على ماهر" وقال لنا: إن الملك قد خضع للإنذار وطلب منا "على ماهر" أن نوافيه فى "بولكلى", لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وأيضاً لكى يعرض علينا الملك الأخيرة بشأن سفره.

وتوجهنا إلى "بولكلى" مرة أخرى- "محمد نجيب" و"جمال سالم" وأنا- ووجدنا "سليمان حافظ" جالسا مع "على ماهر", ثم أرسل يستدعى "السنهورى" لإعداد صيغة التنازل, وفى هذه الأثناء عرض علينا "على ماهر" طلبات الملك بشأن رحيله وهى:

- أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها "جلال علوبة".
- أن يجرد كل شئ فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات إلى ثروته, وأن تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم.
- أن يسمح لهم باصطحاب "بوللى" و"حلمى حسين", وإن لم يكن هذا ممكنا فيسمح "لبوللى" فقط بالسفر معه.

تلك كانت طلبات "فاروق" الثلاثة, وقد وافقنا على الطلب الأول فقط, ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة.

ولم يكن "لفاروق" خيار فى الأمر, فقد كان ينفذ كل ما يطلب منه بلا تردد, بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو أن يخرج حيا من هذه البلاد.

كان قد اقتنع بأنه لا توجد قوة- مهما كانت- يمكنها أن تحميه من الجيش والشعب.. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا مقاومة...

إرادة الشعب

وكتب "السنهورى" و"سليمان حافظ" صيغة التنازل- الأولى- وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن "جمال سالم" اعترض بشدة.. فلم تكن الصيغة تتضمن السبب الأساسى الذى حتم على "فاروق" أن يتنازل عن عرشه.. فلم يكتب فيها نزولاً على رغبة الشعب.

وكتب "جمال" الصيغة النهائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب.

وأخذ "سليمان حافظ" الوثيقة وتوجه إلى رأس التين ليوقع الملك المخلوع عليها.

وخرجت أنا لأتوجه إلى رئاسة البحرية المصرية, كى أتفق هناك على خروج "المحروسة" لتحمل "فاروق" إلى حيث يشاء, وأيضاً لكى أخلى سبيل أمير البحر "جلال علوبة" الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه.

وفى طريقى رأيت "سليمان حافظ" واقفاً مع الضابط الذى كان يرأس قوة حصار رأس التين, وكان الضابط قد منعه من دخول السراى, وطلبت من الضابط أن يتركه وأن يرافقه إلى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب..

وتوجهت أنا بعد ذلك إلى رئاسة البحرية.. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان!..

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت "سليمان حافظ" بعد أن فتحوا له باب سراى رأس التين, وكان يحمل وثيقة تنازل "فاروق" عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد.

ثم توجهت إلى رئاسة البحرية لأعطى تعليمات بخروج "المحروسة" لتحمل "فاروق" إلى منفاه, وأيضاً لكى أخلى سبيل أمير البحر "جلال علوبة" الذى أراد "فاروق" أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها.

وكان أمير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت.

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت- كما سبق أن قلت- بما لم يكن فى الحسبان!..

فما كدت أصل إلى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع, وأخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل "فاروق" إلى المنفى.. وما أن سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى إنهم يتوقعون نسف المحروسة أثناء خروجها إلى عرض البحر!

وقبل أن أفيق من دهشتى مضوا يقولون لى: إن مراكب الأسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء- الآن- جميعها محملة بالذخائر, وهم لا يستبعدون أن تطلق إحدى قطع الأسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق إلى المنفى!

والواقع أننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح المصرى, فتنظيم الضباط الأحرار بالرغم من نجاحه من تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية.

وكان "جمال عبد الناصر" قبل الثورة بأسبوعين, قد سافر إلى الإسكندرية فى إجـازة, وهى لم تكن إجازة للراحة, بل سافر إلى الإسكندرية خصيصاً لكى يتصل بضباط البحريـة, ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيداً للقيام بالثورة.

وكانت مهمة صعبة إلى حد كبير.. فجميع إخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع أسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران أو فـى باقى الوحدات, لأننا- جميعاً- كنا زملاء فى كلية واحدة.. هى كلية الحربية.

وأما بالنسبة لضباط البحرية فإن كليتهم لم توجد إلا بعـد أن انتهينـا مـن دراسـتنا وتخرجنا, فلم نكن نعرف أحدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هـذه الأمور!

وكنت قد قلت من قبل إن ثورتنا هذه كان الأساس فى قيامها قائماً علـى الـصداقات وصلات الأخوة بين أعضاء التنظيم.. وقبيل أن توجد الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار كانت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والأول إلى التفاهم والاتفاق على عمل واحـد.. ثـم تحديـد أهداف واحدة.

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الأهداف بين الأفراد جريمة كبرى وخيانـة يعاقـب صاحبها عقابا صارما.

ومن أجل هذا كنا نحن- الأصدقاء- نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الأهـداف دون أن نخشى افتضاح أمرنا, ومن أجل هذا أيضاً ظل الضباط الأحـرار يعـدون خطـتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ولم يعرف أحد سرهم!

وأعود بك إلى موضوع البحرية فأقول إن "جمال" ظل فى الإسكندرية أياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها.. وبينما هو فى محاولته, إذ طلب إليه أعضاء الهيئـة التأسيسية العودة فوراً إلى القاهرة.. لأنه- كما قلت من قبل- قد وصل إلى علمنـا أن الملـك ينوى البطش بالضباط الأحرار بعد أن عرف أشخاصهم!

وترك "جمال" الإسكندرية قبل أن يتمكن من إيجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية.

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وأنا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم, ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى: إن مراكب الأسطول الراسية فى الميناء ربما أطلقت مـــدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع إلى منفاه, وتناقشنا طويلاً حول هذه المشكلة, وقلت لهم: إن القيادة ارتبطت بوعد, ولابد من أن ينفذ وعد القيادة, لابد أن تخرج المحروسة سليمة إلى عرض البحر بمن عليها.

واستقر رأينا– كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع– أن نوزع أنفسنا على مراكب الأسطول.. أنا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع, كل واحد منا يصعد على ظهر مركب مـــن مراكب أسطولنا فى الميناء, على أن يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية مـــن نسف المحروسة!

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا إلى مراكب الأسطول الراسية فى الميناء.. وبينما كنـــت متأهباً للنزول إلى اللنش إذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية, وقالوا لـــى إن القيـــادة تطلبنى.

كان "ذكريا محيى الدين"– مدير العمليات– هو الذى يتكلم.. قال لى إنه نما على علمه أن ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة أثناء ســفرها بالملك المخلوع, وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء!

وطلب منى "محيى الدين" أن اتصل بهم وأعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة!

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم.

فضباط الأسطول قد استطعنا أن نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة.. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من إطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة؟!!

ولم أجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الأحرار فى مدفعيـــة الـــسواحل.. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه أن يتوجه بنفسه إلى جميع مواقع المدفعية الـــساحلية لكى يشرح للضابط الوضع بالتفصيل, ويقول لهم إن القيادة بكلمتها.. ولابد أن يخرج الملـــك المخلوع سليماً من البلاد.

وانتظرت بجوار التليفون, ولم يلبث مندوب الضباط الأحرار أن اتصل بى ليخبرنـــى أن كل شئ على ما يرام.. فقد استطاع إقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة!

وبقى إقناع "جلال علوبة" بالسفر مع "فاروق" فهو كان قد رفض السفر عندما أخبرته بأمر القيادة أثناء وجودى فى رئاسة البحرية, لأنه خاف أن لا يسمح له بالعودة إلى مصر بعد توصيل "فاروق", لكنى أخذته إلى القيادة.. وهناك أقنعناه بأن عقليتنا لا يمكن أن تصل إلى هذا الحد.. فهو مصرى ومكلف بمأمورية.. وبالرغم من صداقته "لفاروق" فنحن لا يمكن أن نمنعه من العودة إلى بلده!

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا إلى مراكب الأسطول لنمنع ضـــباطه مـــن نـــسف المحروسة!

وكان من نصيبى الطراد "فاروق" وهو أكبر قطعة من أسطولنا ومن العجيب أنه كان يقف تجاه المحروسة تماماً!

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت أنظر إلى رأس التين بالمنظار البحرى المكبر.

واقتربت الساعة من السادسة.. وكنت لا أزال أتجه ببصرى نحو رأس التين.. وكنت أرى اللنشات وهى تتجه إلى المحروسة ثم تعود ثم تجئ إليها مـــرة ثانيـــة.. وعلمـــت أنهـــم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعداداً للرحيل.

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار الكبير فرأيت علـــم "فـــاروق" فـــوق السارية أمام رأس التين وقد أنزل.. ثم رأيتهم.. رأيت "فاروق" ومن حوله المودعون من نساء ورجال, ولم أميزهم جيدا بالمنظار, وإن كنت عرفت فيما بعد أنه كـــان مـــن بـــين هـــؤلاء المودعين "على ماهر" والسفير الأمريكى وشقيقته "فوزية".

وظللت فى مكانى فوق الطراد "فاروق" أحملق فى المنظار المكبر وأشهد أمامى نهاية ملك.. بل نهاية نظام.

ورأيت "فاروقاً" بجسمه الضخم يستقل اللنش إلى المحروسة, وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش.. وخيل إلى أنه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الأخيرة, وهو يغادر أرض الثورة.

وكانت اللنشات تروح وتجئ فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل, وتقترب تلك اللنشات من رأس التين ثم تدور حول المحروسة.. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الأخير من رواية "فاروق الأول".. بعد أن شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها.

وكانت "ناريمان" وبنات "فاروق" قد وصلن إلى المحروسة قبل الساعة السادسة..

وقبل أن يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع أمام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقات رصاص.. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع.. وخيل إلى أن أحداً أطلق الرصاص على "فاروق".. وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها.

ثم عرفت- فى الحال- أن أحد اللنشات اقترب من "لنش" الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صوراً "لفاروق" ساعة رحيله عن مصر.. وما كاد "فاروق" يراهم وهم يقتربون منه حتى "تهيج" وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة, فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى "لنش" يسير بهم محاذياً للنش "فاروق" إلا أن أطلقوا النار للإرهاب.. وانطلق لنش الصحفيين بعيداً.

ووصل "فاروق" إلى المحروسة, ورأيته يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت.. وكأنه ينتظر وصول أحد.

وبعد فترة قصيرة جداً جاء لنش أخر يحمل "نجيب" و"جمال سالم", و"حسين الشافعى".. وكان من المفروض أن يودعوا "فاروقاً" من "مرسى" سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا.. واقتربت الساعة من السادسة فاستقل "فاروق" اللنش على الفور كما ينص الإنذار الذى تلقاه.

وجاء "محمد نجيب", و"جمال سالم", و"حسين الشافعى" إلى المحروسة لتوديعه, ورأيتهم يقفون مع "فاروق", وظللت أبحلق فيهم بمنظارى لكنى لم أكن أسمع حديثهم.. ثم ما لبثوا أن غادروا المحروسة.

وكان أمر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد "فاروق" آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها إلى المنفى, وطلبت من قائد الطراد أن يؤدى تلك التحية... فبدأت المدافع تنطلق.. وأطلقوا واحداً وعشرين مدفعاً, وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب إلى الخلف لكى تغادر "البوغاز" ثم تمضى بعد ذلك بعيداً عن أرض الثورة.

نمت على باب القيادة

وظللت أتابع "المحروسة" بالمنظار إلى أن غابت عن عينى, وهنا تلفت حولى لأجـد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية.. وفى هذه اللحظة فقط وبعـد أن انتهت "العملية" شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى... وترنحت وكدت أسقط فوق ظهر الطراد... فمنذ 23 يوليو حتى ذلك المساء لم أنم ولم أسترح... ولم أطمئن.

وكنت قبل رحيل المحروسة لا أشعر بتعب ولا بإرهاق.. وفجأة أصبحت لا أسـتطيع جر قدمى, حتى عندما أردت مغادرة الطراد لأعود إلى القيادة فى مصطفى باشا لـم أسـتطع النزول من فوق السلم.. فأمسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت إلى اللنش.

ووصلت إلى مصطفى باشا, وكنت لا أزال أترنح.. ثم دخلت من باب القيـادة أجـر قدمى جراً كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات, ورأيت إلى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى.. ولم يكن فيها أحد.. وبلا تفكير اتجهت إليها, وبحذائى وبثيـابى المبللـة بـالعرق والتراب تمددت فوق الأرض لأستغرق فى نوم لم أذق أعمق منه أبداً.

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى.. ووجدت نفـسى أغـادر القيـادة فـى مصطفى باشا وأتوجه إلى محل ألبان كنت أتردد عليه فى وقت ما أثناء هربى من البوليس.. وتناولت طعام الإفطار ثم عدت إلى القيادة وعلمت أن "جمال عبد الناصر" اتـصل بنـا فـى المساء وطلب منا أن نعود اليوم إلى القاهرة.

وقد توجهت مع اللواء "محمد نجيب" إلى مستشفى الحرس, حيث زرنا الجنود السبعة الذين أصيبوا فى معركة رأس التين.. وصرفنا لهم مكافآت..

وأثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء "عبد الله النجومى"... وكان معينا مـن قبـل القيادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة.

وخيل إلى أن "النجومى" فى ورطة.. وفعلاً بدأ يتحدث عن ورطته.. قال: إنه يوجـد فى سراى المنتزه إحدى وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات وسألنا "النجومى" ماذا يصنع بهن الآن؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى أن الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام!

وطلب "النجومى" منا أن نحل المشكلتين, وحللنا مشكلة البنات الوصيفات بـــإخراجهن من البلاد.. فترحل كل واحدة إلى بلدها.

أما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى إنها- أى الحيوانات- يمكن أن تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به... إلى أن تتسلمها الحكومة.

وعدنا إلى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر إلى القاهرة.

وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة أخرى...

أول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة "بمصطفى باشا".. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل "رشاد مهنا" علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل "فاروق"!

وكنا- أو كنت أنا بالذات- لا أتوقع تلك المفاجأة إطلاقاً..

ماذا يريد هذا الرجل؟.. وما الذى جاء به أيضاً فى الإسكندرية؟

لا أحد كان يدرى.. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماماً, ولم يعرف أصدقاؤه أو أعـــداؤه أهدافه الحقيقية...

هل يريد أن يثير زوبعة هنا.. مثل تلك التى أثارها فى مبنى القيادة بكوبرى القبـــة؟! عندما جاء من العريش بدون إذن إلى القاهرة, وكان ضباط المدفعية لا يعلمون موقفـــه مـــن الثورة, ورفضه الاشتراك فى العملية عندما بدأت بل بعد أن نجحت صباح 23 يوليـــو, ظـــل يرفض التعاون.. ثم فوجئ بأننا نجحنا نهائياً وأصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد.. فأسرع إلى القاهرة وهو مذهول لا يكاد يصدق أن الثورة نجحت بدونه!.

ويومها- كما قلت- ظنه ضباط المدفعية أحد أقطاب الثورة فأحاطوا به هـــاتفين, ثـــم جاءوا به فى موكب هائل إلى القيادة فى كوبرى القبة, ولم نستطع أن نفسر لضباط المدفعيـــة موقف "رشاد مهنا", لم نقل لهم: إن هذا الرجل ليس من الثوار, ليس واحداً منكم, فالمسألة لـــم تكن تحتمل, فقد كان من الحماقة إثارة خلافات فى يوم الثورة الأول...

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق فى وجه "رشاد مهنا" عندما جاء إلينا فى الإسكندرية يوم طرد الملك ووقف فى الحجرة تائها مضطربا.

لقد شعرت عندما رأيته فى ذلك اليوم أن المتاعب فى طريقها إلينا إن لم تكن قد جاءت فعلاً!

ولم أتمالك مشاعرى كان لابد أن أحدد موقفى على الفور من ذلك الرجل, الذى لم يحدد إطلاقاً أهدافه أو معتقداته, ولا يستطيع إنسان أن يعتمد عليه.

وزاد فى إحساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه.

كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث إلينا...

لقد علم أن العرش قد سقط, ولم يشترك هو فى عملية إسقاطه, وعرف أنه قد أصبح فى مصر مئات الأبطال, وقادة فتح لهم التاريخ كل أبوابه وهو ليس واحداً منهم, فمكانه سيكون خلف تلك الأبواب.

وهاهو الآن أمامى فى تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا, إنى أراه جيداً فى تلك الصورة.. الإنسان الذى لم يعرف طريقه, وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعاً, وبأى ثمن!.

وظللت أتأمل فى "رشاد مهنا" وهو فى جلسته المضطربة أمامى فى مصطفى باشا وكما قلت لم أتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم أخذته من ذراعه إلى ركن فى الحجرة.. وسألته:

– إيه يا "رشاد".. مالك؟!

ونظر إلى فى اضطراب أكثر.. فسألته فى هذه المرة بلهجة جافة إلى حد ما.. قلت له:

– عايز إيه يا "رشاد".. قول, إيه اللى أنت عايزه.. مالك كده.. مضطرب ليه؟!

– أنا مش عايز حاجة.. أنا جاى أبارك على الخطوات الموفقة دى..

"رشاد" يطلب إخراجى مع "جمال سالم"...

وقد تكلم "رشاد مهنا" يومها بصوت مهزوز, وكان طوال حديثه زائغ البصر..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا.. وتركناه فى الحجرة تائها كما هو, ومن حوله أربعة جدران..

ولم أكن أدرى يومها أن حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس أنى عدو لـــه, حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه "جمال عبد الناصر" إلى "رشاد مهنا", وكان "رشاد" وقتهـــا قد أقيل من منصبه كوصى للعرش.. وأراد "جمال" كعادته دائماً مع كل من تربطه بهم صـــلة ما.. صداقة كانت أم زمالة أو حتى تعرف عابر.. أقول أراد "جمال" أن يمد يده لرجل يعرفه, لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لا شئ, ولا لأنه فى حاجة إليه, بل لأنه قد عرفه فـــى فترة ما..

أراد "جمال" أن يمد "لرشاد مهنا" بعد خروجه من وصاية العرش فذهب إليه وقال له: إن من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه أن يكون سفيرا لمصر فى أية دولـــة يختارها, وظن "رشاد مهنا" فى تلك اللحظة أن "جمال عبد الناصر" قد جاء إليه تائبا.. وأنـــه- أى "جمال" فى حاجة شديدة إلى معونته, وأن الثورة لم يعد يمكنهـــا الـــسير بدونـــه... فقـــال "لجمال": أن له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد.. وهو أن يخرج "جمال سالم" و "أنـــور السادات" من القيادة..

واضطر "جمال عبد الناصر" أمام هذه المفاجأة أن يوضح "لرشاد مهنا" فـــى هـــدوء المسألة كلها.. فقال له.. أنه لم يأت إليه لأنه فى حاجة إلى التعاون معه, بل لكى يساعده.

وتكلم "جمال" معه بصراحة.. فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد أن قامت, ثم بعد أن أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش.. وخرج "جمال" من هذا كلـــه بنتيجـــة واحدة, أعلنها فى هدوء أمام "رشاد مهنا".. وهى أن الوضع بالنسبة له أى- "رشاد"- هو أنـــه خرج على الثورة, أما بالنسبة للاثنين اللذين طلب إبعادهما عن القيادة فهو العكس تماما..

ورفض "رشاد" بعد أن سمع رد "جمال عبد الناصر".. أقول رفض الوظيفة هـــذا مـــا عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد "فاروق", عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشـــا, ولنترك حديث "رشاد مهنا", "فرشاد" سوف نلتقى به كثيراً فى قـــصة ثورتنـــا وأعـــود إلـــى الموضوع..

كان علينا بعد أن رحل "فاروق" عن البلاد أن نعود فـــورا إلـــى القـــاهرة.. بعـــد أن استدعانا "جمال" ليلة 26 يوليو.

وفى اليوم التالى- 27 يوليو- كنا فى القاهرة, وانعقد فى نفس اليوم أول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار بعد قيام الثورة والاجتماع كان يرأسه "جمال عبد الناصر", وكـان "جمال" قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالإجماع كما سبق أن قلت...

ولم يحضر اللواء "نجيب" هذا الاجتماع لأنه لم يكن عضوا فى الهيئة وعندما بـدأ اجتماع الهيئة كان اللواء "نجيب" فى مكتبه, ثم جاء إلينا وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية إلـى مكتبه...

استقالة "جمال عبد الناصر"

وفى هذا الاجتماع- الأول- للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف "جمال عبـد الناصـر" وتكلم فقال: إنه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفـاح الـضباط الأحرار, ثم توجهت بالنصر ساعة أن طرد الملك... ومضى "جمال" يقول: إنه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لأعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الأحداث القادمة.

وانتهى "جمال" من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة..

وقد رفضت استقالة "جمال" بالإجماع, وطلب إليه الأعضاء أن يـستمر فـى عملـه كرئيس للهيئة, ولكنه أصر على الاستقالة إصرارا تاما...

واضطررنا إلى إجراء انتخاب جديد, وتمت عملية الانتخاب فـى اقتـراع سـرى- كالعادة- ففاز "جمال" بالإجماع.

موقف "خالد محيى الدين"

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقى "جمال" رئيسا للهيئة وقف "خالد محيـى الـدين" وطلب الكلمة.. وتكلم فشرح موقفه.

قال "خالد": إنه يطلب من زملائه تنحيه عن عضوية الهيئة التأسيسية لأنه يدين بمبدأ معين, ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يصطدم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به..

ومضى "خالد" يقول: إنه رأى منعا لأى خلاف- أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى, فيسافر إلى الخارج.

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين "خالد", وكانت مناقشة عاطفية للغاية, ثم انتهت برفض انسحاب "خالد محيى الدين" من الهيئة.. أى استمرار التعاون معه..

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية, كنا نجتمع بصفة مستمرة, فى مبنى القيادة بكوبرى القبة, وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا.. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح, وبعد أن خرجنا من تحت الأرض ومن نطاق الاجتماعات السرية, والكفاح فى الخفاء إلى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا إلى جنب.. وبلا "فاروق" والعالم كله كان لا يدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد.. والشعب أيضا.. لم يكن أحد يعرف ماذا بعد "فاروق"..

هل يبقى النظام كما هو, وتظل مصر تحكم بتاج أسرة "محمد على", وصاحب الجلالة "أحمد فؤاد الثانى"- الطفل- كان على عرش البلاد؟! بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن؟!

وهذا الذى حدث قد تم على أيدى من؟!

عرف الناس- فقط- فى مصر وفى خارج مصر أن اللواء "نجيب" هو قائد عام القوات المسلحة, وأنه الذى سيصنع المستقبل, لأنه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو!

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس.. ولماذا اتخذتم هذا القرار؟! ما دمتم قد حققتم أخطر مرحلة فى كفاحكم, وطرد صاحب العرش عدو الملايين, فلماذا لم تخرجوا إلى الشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء "نجيب"؟!

وأقول لهذا البعض: إننا لم نكن نريد حكما.. لم نكن نريد أن نكون أعضاء فى حكومة مصر, أو ساسة ضمن ساسة البلاد.. بل كانت كل أهدافنا هى تغيير نظام الحكم ولا يعنينا أن يحملنا الشعب على رأسه أم لا, بل الذى يعنينا هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده!

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فإنها لم تكن من أهدافنا, ومنذ اللحظة الأولى حددنا لأنفسنا الطريق, فاللواء "نجيب" هو القائد والزعيم.. وهو كل شئ!

ونحن– كما سبق أن قلت– لسنا سوى جنود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصل الشعب إلى الحرية والعدالة الاجتماعية, وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه!

ذلك كان موقفنا بعد طرد "فاروق" فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام 1952 وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة. وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الأهداف, فالأهداف مقررة ولا سبيل إلى تغييرها, بل حول وسائل تحقيقها.. بعد أن أصبحنا نكافح جنبا إلى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين.. فى سبيل القضاء على المستعمر!

فهو– أى المستعمر– باق لم يطرد مع "فاروق".. والمعركة القادمة ستكون حتما معه.. فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديمقراطية أمام الشعب سواه ويجب أن يزول..!

وكان الاستعمار فى تلك الأيام التاريخية من شهر يوليو قد فوجئ باللطمة التى أصابته عندما طرد "فاروق"...

وإنى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين المستعمر.. أذكر اليوم الذى طرد فيه "فاروق" وكيف جاء إلينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا... قبل أن نعود إلى القاهرة.

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت؟

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا مجتمعين, وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة.. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل أحداث يوليو..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى "المذكرة" سالفة الذكر إن لديه طلبات!

ثم مضى يقرأ "المذكرة" محددا تلك الطلبات وكانت:

أولاً: أن يعلن حظر التجول فى أنحاء مصر خوفا على أرواح الأجانب لأنه يخشى– على حد قوله– أن يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى– أى الشعب– على المحلات والمؤسسات!

ثانياً: أن لا تحدث أية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج "فاروق" من البلاد, فيعلن مجلس وصاية على وجه السرعة..

ثالثاً: أن تحفظ حقوق أسرة "محمد على" وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد!

وما كاد ينتهى من قراءة مذكراته حتى فوجئ "بجمال سالم" وبى.. ونحن نتحداه ونسخر من طلباته..

قلنا له: ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الأمور, وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الإنجليزى, وقلنا له: إنه ليس لبريطانيا أو لغيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لأن هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات فيه, قد انتهى ساعة أن تحركت "المحروسة" حاملة فاروق إلى منفاه..

الموقف فى مصر بعد "فاروق"..!

وكانت فرصة لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ وبعد أن ألقينا على نائب السفير الإنجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه, وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة:

– أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية, وهى زيارة للصداقة وللنصح لا غير..!

وطلب– رسميا– أن نعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا, وأن حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الإطلاق, وهو قد فعل ما فعل كصديق!

وقاطعناه قائلين:

– ولكنك كنت تقرأ من مذكرة فى يدك.. فما هى الحكاية؟!

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات.. وقال وهو يحاول تفسير موقفه: إنه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق.

ولم يتركنا نائب السفير يومها إلا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة أنه ما جاء إلا كصديق, وأن المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا.. وقال: إنه يسحب كل ما قاله لنا, وطلب منا أن ننسى ما حدث.. ثم خرج! تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا, وحـــدثت يـــوم طـــرد الملك.. وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة– فى ذلك اليوم– قـــد ســـبقتها زيـــارات أخـــرى ومواكب أخرى عجيبة, وكانت كلها مواكب نفاق.. بعد أن عرف الساسة الباشوات أن "فاروق" قد رحل عن البلاد.

الفصل الثامن

الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسى بعد طرد "فاروق"

ماذا كان عليه الموقف السياسى- بالتحديد- بعد رحيل فاروق؟! هذا هو السؤال..

إنها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى.

فى اليوم الأول للثورة- 23 يوليو- وبعد أن سرت الفرحة فوق هذه الأرض, ماذا فعل الساسة الباشوات؟!

هل فرحوا.. وأيدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو؟

كان الموقف واضحا.. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب, والجيش يفرض إرادته على ملك البلاد.. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك! فهل وقفوا بجواره قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد, كانوا يطالبون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام, وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية, كلما أرادوا حكم الشعب..؟!

الوفد والسعديون والدستوريون والإخوان.. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد, هل أيدت موقف الجيش من الملك فى أيام 23 و24 و25 يوليو, مثلما أيد الشعب تلك المواقف؟!

أم أنهم كانوا لا يمثلون الشعب, فموقفهم – إذن- يصبح مختلفا تماما عن موقفه؟!

لقد كانت أحداث تلك الأيام من يوليو تشير بوضوح إلى أن الضربات بدأت توجه لأعداء الشعب.. لتصرعهم!

كان فرض إرادة الشعب على أسرة "محمد على" عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا.. فلماذا لم يقف زعماء البلاد إلى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الأولى للمعركة, وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم؟!

هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك, وفى هذه الحالة يصبح موقفهم إذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة "محمد على"؟!

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا. والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الأولى.. أقول ماذا كان عليهم- وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب- لو وقفوا وأيدو الخطوة الأولى. ولا أقول باقى الخطوات!؟

إنى أقولها ويقولها التاريخ نفسه, إن الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلــك الأيــام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم...

ففى صباح 23 يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد خطرا على تلك المــصالح وذلك وفى حالة فشل الجيش!

أما نجاح الثورة فذلك شئ لم يتوقعوه... أما عزل الملك فذلك شئ لــم يؤمنــوا بأنــه سيحدث!

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم, لم نسمع لهم صوتا, ولم نر وجها واحــدا مــن وجــوههم الكريهة!

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب.. أما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريــات فقد كانوا يأملون أن يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه.. فلا يحرمون مــن مقاعــد الحكم مغانم السلطان!

حتى ذلك الرجل "حسن الهضيبى" وأتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان, لم يؤيــدوا قيادة الجيش فى أيام الثورة الأولى.. لم نر وجه "الهضيبى" وهو الداعية الذى يطالب بالحريات والديمقراطية!

فأين كان؟!

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا- فيما بعد- أنهم صانعوا الثورة!

ثم فجأة وعندما عرفوا أن الثورة نجحت وأن العرش قد سقط من فوق رأس مــولاهم جاءوا إلينا مهنئين... وهم الذين اختفوا عن أنظارنا قبل رحيل الملك المخلوع... بل أن رجال حزب الأغلبية, الحزب الذى يدعى أصحابه تمثيل الشعب أقول إن هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم 24 يوليو- والشعب والجيش فى عنفوان معركتهما ضد صاحب الجلالة- وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات, فى سراى رأس التين رافعين إلى الأعتاب الــسامية فــروض الــولاء والطاعة فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك إلى الإسكندرية لتطرد ذلك الملك!

إن اسم الفاضل "صلاح الدين" وزير خارجية الوفد لا يزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول!

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء... كنا نتوقع أن يجئ إلينا بعضهم ليعلنـــوا عن تأييدهم لما حدث.. لكن يبدو أننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة, فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال أعوام حكمهم, وهم الذين فرضوا طغيان "فاروق" فرضـــا علـــى الملايـــين العارية الجائعة المريضة!

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم, ولتذهب المثل والقيم وكل المبادئ إلى الجحيم!

وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالإســكندرية, وفى كوبرى القبة بالقاهرة.

وقد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيادة بعد أن عرفوا أن "فاروق" قد انتهى!

إن الفاضل "صلاح الدين" الذى رفع رايات الولاء والطاعة للملك باسم الوفد يوم– 23 يوليو– أى بعد الثورة جاء بعد رحيل "فاروق" ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا!

و"الهضيبى", و"صلاح الدين", والزعماء الأفاضل من الأغلبية والأقلية.. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيادة ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد!

نفس الموقف... فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب القصر معلنـــين عـــن الولاء والخضوع والطاعة, واليوم يجيئون إلى أبواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر, وقد ظنوا أننا مثل سيدهم الذى ذهب!

ظنوا أننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكـــم بـــين أيـــديهم ببساطة ونحن راضون!

ذهب سيد وجاء سيد.. تلك كانت معتقداتهم وآمالهم!

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع إخفاء أسفنا.. كنا نكاد نختنق من الضيق.. وهم أمامنا يبتسمون فى خضوع مباركين ومهنئين ومؤيدين!

وكلما جاء إلينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت إلى بعضنا, ولا نملك إلا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة.

كانت المسألة رياء.. وليس لها أصل من الحقيقة!

"نجيب" يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية بل جلاديها.. فحديثهم سيجيء كثيرا فى قصتنا.. وأعود إلى الموضوع:

قلت فيما سبق إن الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل "فاروق". واستقال "جمال عبد الناصر" من رئاسة الهيئة فى ذلك الاجتماع, ثم أجريت انتخابات جديدة ففاز "جمال" بالإجماع للمرة الثالثة.. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية.

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار, فقد كان علينا أن نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا فى العلن جنبا إلى جنب مع الشعب.

ولم يحضر اللواء "نجيب" تلك الاجتماعات, فهو لم يكن عضواً فى الهيئة التأسيسية.. فكان يظل جالساً فى مكتبه حتى ننتهى من أعمالنا, فيجئ ليجلس معنا, ونحيط به كأنه أب لنا, فكان لا يترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا.

كان يقول لنا إن كل شئ قد تم بمجهودنا, وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شئ له وحده, وهو لم يصنع شيئا على الإطلاق.. وكان يبدى لنا خجله, من هذا الموقف, فكنا ننكر فى شدة أننا صنعنا شيئاً, كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه.. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه, إلى حد أن "عبد اللطيف بغدادى" قال ذات مرة– كما قلت من قبل– إن هذا الرجل– أى نجيب– أصبحت أحبه مثل والدى.. وربما أكثر!

"جمال" يتنازل عن الرئاسة لنجيب!

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل.. واللواء "نجيب" كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والأجانب.. ثم عندما يعلم أننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجئ ليجلس معنا.

واستمر الوضع على هذه الحال حتى منتصف أغسطس.

وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم 17 أغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر- رئيس الهيئة- يتقدم بطلب يقول فيه إنه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء "محمد نجيب"!

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى "جمال" يقول:

- إن الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب, فهو لا يحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح أن نضمه كعضو فى الهيئة فحسب, بل إنى متنازل له عن الرئاسة!

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع, ثم تقدم "جمال عبد الناصر" باقتراح بضم أربعة آخرين إلى الهيئة التأسيسية مع "نجيب"... على أن يكون "نجيب" رئيسا بالنسبة لرتبته, لأنه لا يعقل أن يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائد الثورة.. وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة!

اقتراح من "جمال سالم"

وفى نفس الوقت تقدم "جمال سالم" باقتراح ثان, قال فيه: إنه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط, أو ثلاثة, على أن يعود باقى الأعضاء إلى وحداتهم فى الجيش, ويبقى الثلاثة أو الخمسة لقيادة الثورة!

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة, ثم انتهت وافقت الهيئة على اقتراح "جمال عبد الناصر", فدخل "محمد نجيب"- لأول مرة- الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار, ومعهم أربعة هم: "يوسف صديق" و "ذكريا محيى الدين", و "حسين الشافعى", و "عبد المنعم أمين"..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة..

موقف حزب الوفد من الثورة

أصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار, ولم يكن عضوا من قبل, ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها...

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد "فاروق" كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع, فيجئ إلينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه, لم نشك فى إيمانه بالثورة, فأعطيناه كل ثقتنا

واعتبرناه كأب لنا.. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يحدث فى خجل عن إنكارنا لأشخاصنا, فيقول إنا كل وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام ما بعد "فاروق".

وكما قلت سابقا فاجأنا "جمال عبد الناصر" فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى 17 أغسطس عام 1952 بتنازله عن الرئاسة للواء "نجيب", وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل: "إن الوضع أصبح حرجا للغاية, فاللواء "نجيب" قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة, وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة وفى نفس الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا, وهذا ما لا يصح أن يدوم".

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح "جمال", وأصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال رئيسا لها منذ أنشئت, وانتخب ثلاث مرات قبل الثورة وبعدها بالإجماع ليرأسها.

ودخل أربعة آخرون مع "نجيب" أعضاء فى الهيئة هم: "ذكريا محيى الدين", و"حسين الشافعى", و"يوسف صديق", و"عبد المنعم أمين".

ومضينا كما قلت نستعد لمواجهة الأحداث القادمة.. "نجيب" رئيسا للهيئة و"جمال" وكيلا لها.

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك, أود أن أذيع على الرأى العام فى الوطن العربى وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة..

وهى سر اختيار "رشاد مهنا" وصيا للعرش.. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف "رشاد مهنا" أولا بأول من الثورة.

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه إلينا فى الإسكندرية يوم طرد الملك, وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك! وسألته يومها عن سر اضطرابه وحيرته.. فبكى وقال: إنه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة...!

وقد عاد "رشاد" إلى القاهرة معنا فى نفس الطائرة- يوم 27 يوليو- ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر "جمال عبد الناصر" حسم الموقف بالنسبة لرشاد مها منعاً للخلافات, وبطريقة تحقق آمال ومطامع "رشاد" نفسه.

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف "رشـــاد" مـــن الثورة, كما قلت من قبل. ولم يعرفوا أنه رفض الاشتراك فى العملية, ورفض أن يتعاون على الإطلاق, واعتقدوا عندما جاء من العريش- بدون إذن- أقول اعتقدوا أن "رشاد مهنا" هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها..!

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا.. فربما حدثت بلبلة ونبتت خلافات والثورة فى أيامها الأولى.

فلم نقل للضباط الحقيقة, وظل رشاد صامتا أيضا..

وعلى هذا ظل الاعتقاد- بأن "رشاد مهنا" قطب من أقطاب الثورة- سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم.

وأمام هذا الموقف شعر "جمال عبد الناصر" أن "رشاد مهنا" يريد شيئا ما.

وعرف "جمال" الشىء الذى يريده رشاد...

وأراد "جمال" أن يعطيه ذلك الشىء حتى لا تحدث خلافات أو انقسامات نتيجة للفهـــم الخاطئ لموقف "رشاد مهنا"..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة.. ورشاد طوال حياته هكذا يجـــرى خلـــف المظاهر ويتشبث بها, ولا يعنيه شئ على الإطلاق سوى عشقه للمظاهر.

ودون أن نعلم, توجه "جمال عبد الناصر" إلى "على ماهر" وكان رئيسا للوزارة فـــى ذلك الوقت وقال له: "إن القيادة تريد أن يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصـــاية" وطلـــب "جمال" من "على ماهر" أن يكون "رشاد مهنا" هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية.

وتبين بعد مراجعة الدستور أنه لكى يعين أحد وصيا لابد أن يكون وزيرا سابقا علـــى الأقل.

وزالت العقبة فاتفق "جمال" على تعيين "رشاد" وزيرا للمواصلات ليصبح بعـــد ذلـــك وصيا على العرش.

وبعد أن أنهى "جمال" المسألة عاد إلينا فى القيادة وأخبرنا بما تم وبالرغم مـــن أنهـــا كانت مفاجأة لنا, إلا أننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة "رشاد مهنا".. ولمشكلته التى كنا جميعا

نشعر بخطورتها. وعندما وقعت المأساة وأصبح "رشاد" وصيا على العرش, استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر أن ذلك الرجل هو قطب الأقطاب.. فى الثورة, تماما كما كان شائعا عن اللواء "نجيب"..

والواقع أن "رشاد مهنا" كان يتصرف عندما أصبح وصيا للعــرش باعتبــاره ملــك البلاد.. وسأروى فى حلقة أخرى كيف كان "رشاد مهنا" يتصرف وهو جــالس فـــى قــصر عابدين!

إنه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر.. ونسى الثورة كالعادة..

ويكفى اليوم أن أشير إلى كلمة قالها ردا على طلب القيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا...

قال "رشاد" يومها وهو يرفض الموافقة:

– إنى أملك وأحكم أيضا...

نصحونا بأن نحكم..

وأعود إلى قصتنا..

قلت: إننا بدأنا نستعد بعد دخول "نجيب" الهيئة التأسيسية لمواجهة الأحــداث القادمــة, وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد, بعد خروج فاروق...

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الأيام هو دعوة برلمان الوفــد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد.. و"النحاس", وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت.

وأذكر أنه بعد 26 يوليو أى بعد خروج "فاروق" جاء إلينا أناس كثيرون فـــى نـــشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم.

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا...

اعتقدوا أننا طلاب حكم, لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم: لا..لا..وكررناها فى حزم وقوة.

وأعود إلى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل...

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لإشعال نار الثورة لقد فكرنا فى تلك الفترة أن نطلق شرارة الثورة الأولى بأن نفرض حزب الأغلبية وقتذاك- الوفد- على الملك.. اعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة, واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين "باشا" وأوفدنا إليه البكباشى "أحمد أنور" أحد الضباط الأحرار- وقائد البوليس الحربى- وذهب "أحمد أنور" ليسأل "فؤاد سراج الدين" عن موقف حزب الوفد فى حالة ما إذا فرضه الجيش على الملك؟!

وقد طلب "سراج الدين" مهلة ليرد على ذلك السؤال.. حددها بشهر.

الوفد يخشى المعركة..

وبعد شهر جاءنا رد "سراج الدين", وهو الرفض لأن قطب الوفد ووارث الزعامة رأى أنه من المحال أن ينجح الجيش فى هذه العملية..

عاد "أحمد أنور" إلينا وهو يحمل رد الوفد.. أن حزب الأغلبية لا يؤمن على الإطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض أى شئ على الملك, لهذا يعتذر "سراج الدين" عن تحديد موقف معين- للوفد- فى مثل هذه الحالة..

وفهمنا يومها مدى إيمان قيادة الوفد بالشعب.. فتلك القيادة لا تؤمن على الإطلاق بالكفاح العملى ضد أعداء الشعب "أى القصر" بل تترقب وتنتظر تحسن الأحوال حتى يستدعيها ملك البلاد إلى حكم البلاد.

أما فرض إرادة الشعب على الملك فذلك شئ لا يؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى إظهار تلك الإرادة.

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل, وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الأعداء, بل قررت مهادنة هؤلاء الأعداء والتعاون معهم إذا أرادوا- أى الأعداء- تلك المعاونة.. وليذهب الشعب إلى حيث يشاء.

وفهمنا يومها أيضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة إلى المستقبل.. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الإقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها القصر والاستعمار أيضا.. الطبقة التى لولاها

لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض.. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة إلى الأبد..!

الوفد يتجه إلى مصدر القوة

واستعرضنا يومها موقف الوفد- أو بعبارة أكثر صدقا- مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية حتى حريق القاهرة!

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف.. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر.. وعلينا أن نعرف أعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين!

لقد كان موقف قيادة الوفد- وهو حزب الأغلبية- هو الاتجاه إلى مركز الثقل فى السياسة المصرية, ومركز الثقل كان فى يد كليرن السفير الذى يحكم البلاد... ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا إلى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية- وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت- اتجه الوفد إلى القصر وهادنه... تماما مثلما هادن "كليرن" وارتمى فى أحضانه!

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا للعيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد "حسين سرى" وفاز الوفد بأغلبية ساحقة, وأصبح على الملك أن يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم...

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل أو بالحق فهو- أى الوفد- قد فاز على أية حال وتربع أقطابه على مقاعد الحكم.

بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها.. فى انتظار الفرج!

أصبح الوفد- إذن- فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات... فهل فعل؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات!

انتابه الفزع, فالوفد قادم ليصفى معه الحساب.. ليأخذ منه حق الشعب!

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك "حسين سرى" رئيس الوزراء وقال له:

- تعال حوش عنى الوفد!

وكان مفروضا أن يخوض الوفد- باعتباره ممثلاً للشعب كما يقولون- المعركة فـي الحال ضد استبداد القصر. فإن الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته.. فهم أصبحوا حكاما!

وفى يناير عام 1950 استدعى الملك "مصطفى النحاس" ليكلفه بتأليف الـوزارة بعـد نجاح حزبه فى الانتخابات.. وكان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهـر علـى فـم صاحب المقام الرفيع, بعد أن فاز رغم أنف الملك وأصبح حاكما رغم أنفه أيضا.. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة أعوام قضاها بعيـدا عـن لاظـوغلى.. وعـن النفـوذ والصولجان!

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم.. سمعه يقول له:

- أنا لى طلب...

وتوقع "فاروق شرا".. ظن أن زعيم الأمة قرر الاشتباك معه فى معركة وهو لم يزل فى أول الطريق.. وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه "فاروق" بعد ذلك الـسؤال, سـمع "النحاس" يقول له:

- طلبى.. إنى أبوس إيد مولانا!

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب, فهى إذن قيادة شعبية.. وهى القيادة التى أيدها الشعب وجاء بها إلى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله.. ففوجئ بهـا تحمى مصالح القصر وتعمل من أجل "سراج الدين".. وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية!

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل إلينا أحمد أنور مندوب الضباط الأحرار إلى الوفد رد "سراج الدين"... الذى اعتذر فيه عن عدم التعاون معنا. وكنا قررنا أن نفرض الوفد على الملك كخطوة أولى لإشعال نار الثورة.

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك- أى بعد رفض "سراج الدين" أن يخوض الوفـد المعركـة مـع الـضباط الأحرار- قررنا عدم التعاون إطلاقا مع الهيئات والأحزاب فى مـصر.. لأن العقليـة التـى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا.. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة.. نحن فـى ناحية وهم فى ناحية أخرى.. نحن نريد تغيير نظام الحكم.. وهم يريدون الحكم نفسه!

يريدون الحكم فى كنف "فاروق".. و"كريم ثابت", و"بوللى", وخدم القصور؟

أما المعارك جنبا إلى جنب مع الشعب ضد "فاروق" فذلك شـئ يـرعبهم ويجعلهـم يهربون من الميدان.. إلى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى.

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من أجل الشعب, أما المسألة التى فى برنـامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم.

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والأحزاب من كل خططنا فى المستقبل وقررنـا فـى نفس الوقت الاعتماد على أنفسنا.. على تشكيل الضباط الأحرار, فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح أفرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة إلى التحرر.. فكل الضباط الأحرار من عائلات متوسطة وليسوا أبناء باشوات, وليسوا من صلب الأرستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل أعـداء الشعب.

رأيان يتصارعان

غير أننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد وفى كـل اجتماعـات الهيئـة التأسيسية– المستمرة دائما فى تلك الأيام– لم يقف أحد منا لينادى بأن نتولى نحـن الحكـم.. وإنما كان هناك رأيان يتصارعان.

الرأى الأول يقول: بما أننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارة الأولى للثورة بفـرض حـزب الأغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسير الأمور ونجلس نحـن نراقـب الأحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة.

والرأى الثانى يقول: لا يصح أن يحدث هذا.. فالوفد وكل الأحزاب والهيئات بما فيهم الإخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة, واعتقدوا عندما اتصلنا بهم أن المسألة خيال.. وتخلفهم هذا معناه أنهم ليسوا ذوى نوايا حسنة بالنسبة للشعب, ومعناه أيضا أنهم لا يؤمنـون بما ينادى به الشعب.. وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب.. وقيادة كـل هيئـة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما.. ومصالحهم متناقضة مع مـصالح الـشعب, فهى– أى تلك القيادات– سوف تكون حربا على أهداف الثورة لو مددنا أيدينا إليها.

ومضى أنصار الرأى الثانى يفسرون أهداف الهيئات والأحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب, ثم قالوا: إن الثورة تحتم إلغاء كل تلك الأحزاب والهيئات التى تآمرت على الشعب طوال الربع قرن الأخير..

هى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج "فاروق".. فلن يعدموا طاغية آخر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى.. وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث؟! كأننا لم نقم بثورة.. وكأننا لم نطرد صاحب العرش, وكأننا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع إلى لاظوغلى لا إلى الشعب!

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية وكان الرأيان المتصارعان هما محور كل المناقشات!

التطهير المزيف للأحزاب

كان رسل الوفد يقفون أمامنا... وينبرى قطب منهم, ويقول:

– اسمعوا.. لا خلاص لكم إلا بالوفد.

وقال لنا الإخوان:

– نحن لها.. نحن الذين سننقذ الموقف.. أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم.. اجعلونا أوصياء على الثورة, هذا هو الحل الوحيد, ولا خلاص لكم إلا بوصايتنا.

وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والإخوان والسعديين.. ديمقراطية النظام الملكى الإقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة... ديمقراطية العبيد.

وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر فى أرض مصر بعد طرد "فاروق", تتيقظ وتعى موقفها تماما إزاء الأحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل, فيتجنب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم, وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين, ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف:

– حرامى... حرامى... لكن عايزينه.

وطالبنا الأحزاب بالتطهير...

ومنهم زرق الأنياب وقدامى السياسة والحكم, إنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا.

وعقد الوفد اجتماعا وأصدر قائمة..

وعقد السعديون اجتماعا وأصدر قائمة..

وعقد كل حزب اجتماعا وأصدر قائمة..

وكانت حكاية التطهير مهزلة..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة, ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين.

ماذا كانت تريد؟..

لقد وقفت بالقارئ فى آخر حلقة من القصة عند موقف الأحزاب من هذه الثورة, وقلت إننا فتحنا أمامهم الأبواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا: تعالوا.. ساهموا معنا فى هذا العمل التاريخى الكبير..

تعالوا نصنع- جميعا- مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت.

وترددوا- جميعا- ولم يمد أحدهم إلينا يده... كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى 23 يوليو ما هو إلا أحد الانقلابات المعروفة العادية, والتى قد تزول بين يوم وليلة, وبعد ذلك يتولون زمام الأمور من جديد.

لم يفهموا على الإطلاق أنها ثورة.. وإلا فما معنى ترددهم؟!

قرروا أن ينتظروا ليروا إلى أين تتجه الأحداث بعد ذلك اليوم من يوليو وفى نفس الوقت, ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم, كان الرسل يجيئون إلينا ويروحون.. رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول:

- اسمعوا.. لا خلاص لكم إلا بالوفد.. صدقونا.. أنتم لن تتمكنوا من صنع شئ على الإطلاق, إلا إذا أيدناكم نحن الوفديين, فلابد من حزب سياسى يقف إلى جواركم.

ولا ينسى "القطب" أن يستعرض أمامنا قائمة الأحزاب المصرية الموجودة.

وبعملية بسيطة نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الــذى لا نجــاة للثورة إلا به, لأنه حزب الأغلبية. ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هــم الإخوان, وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطــور الإنسانى قال لنا الإخوان: "نحن لها.. نحن الذين سننقذ الموقف.. أما غيرنا فيخدعكم ويغــرر بكم.. اجعلونا أوصياء على الثورة.. هذا هو الحل الوحيد.. ولا خلاص لكم إلا بوصايتنا".

من يريد أن يثور معنا؟

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع إلى كلام "الإخوان" أنهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا, فكيف نلوذ بالصمت ولا نشعرهم بأننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم..؟ الجميع كانوا ينظرون إلينا باعتبارنا صغارا, لا قدرة لنا على مواجهة الأحداث.. كأنهم كــانوا بأعمــارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ما قبل يوليو.. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ؟!

الواقع أننا– فى ذلك الوقت– كنا فى حيرة, فقد كانت الخطة التــى وضــعناها فــى إخلاص شديد تقضى– فعلا– بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا, من يفهم أن المــسألة هــى العمل والعمل والعمل.. وليس الحكم!

ومن أجل هذا طلبنا من كل الأحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجــل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم.

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم: انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية, وتخلوا عن معتقداتكم التى كانــت تتفق مع الوضع قبل يوليو, وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ.. ولا سبيل إلــى العمــل أو التعاون والاشتراك فى "الثورة" بهذه العقلية وبتلك البرامج والمعتقدات!

كنا نؤمن بأن "الثورة" لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفــد والــسعديين والإخوان, فتلك كانت ديمقراطية النظام الملكى الإقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة.. أى ديمقراطية العبيد!

فالبرلمان الدستور وكل الأشكال الوهمية للحرية.. والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعــضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور.

كان الإقطاعى يمثل تمثيلا- ديمقراطيا- مصالح الفلاحين.. عبيده! فأين الديمقراطية هنا, وكيف كان يمكن للثورة أن تقضى على الإقطاع إذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الأحزاب هو الأساس الذى سيقوم عليه النظام بعد يوليو؟!

ذلك كان الموقف بالتحديد, لا ديمقراطية إذن ولا دستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للأمة, لا شئ من هذا على الإطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة إذا لم تظهر الأحزاب وتغير من برامجها, ومن أشخاص القائمين عليها وهم الأعداء الحقيقيون للشعب.

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس فى مصر بعد سقوط "فاروق".

النائب والشعب

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نغير بها أساليب الكفاح السياسى, الوفدى والسعدى والدستورى والإخوانى.. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد "فاروق", تتيقظ وتعى موقفها تماما إزاء الأحداث التى ستجرى بعد ذلك حتى لا تضلل, فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم, وحتى لا تسير مظاهر من أفراد مساكين, ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف:

- حرامى.. حرامى.. لكن عايزينه

كيف يفهم الفلاح؟

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا إلى جنب مع دوراة الثورة, فكيف يكون ذلك, والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هى الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد!

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى "درين" أن الهتاف بحياة "عبد العزيز البدراوى" نائب مركز طلخا جريمة.. بعد يوليو؟! وهو- أى فلاح درين- لم يهدم الإقطاع بفأسه حتى كان لا يمكن أن يعى معنى الثورة! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة.

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى, حتى يعى الشعب موقفه, ويفهم أن الثورة ما قامت إلا من أجله هو ومن أجل تحديد مستقبله, لا من أجل طبقة معينة.

والدماء كان يمكن أن تسيل.. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة إلى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى أقاصى الصعيد.. لكن ما ثمن كل هذا.. وما نتيجة الدم المراق؟

حيرة التاريخ

وماذا لو استطعنا أن نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم؟

هنا يقف التاريخ حائرا إلى حد ما ليرقب النتيجة.. فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات!

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى بكوبرى القبة, كنا نجلس لنعد خطة الزحف الأبيض على أعداء الشعب.. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا.. بلا بارود ولا أشلاء ولا رقاب طائرة.

صحيح أن الثورة الدموية تخلق الوعى السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية, لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة.. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش.

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك, لأن الموقف فى مصر يختلف عنه فى كل بلاد الدنيا.. الظروف, والأوضاع, والوعى, والتنظيم الثورى النابع من أعماق الشعب... ثم هناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات.. وهذه الحقيقة ذكرتها فى الفصول السابقة مرارا عديدة.. فهى- إذن- حقيقة تاريخية ومعناها أنه لا مجال على الإطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة, وما دامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب.. وتعمل على تحقيقها.

أين هم الأعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا..؟!

لا البدراوى ولا أى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالأرض إذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينذره قائدها بتسليم الأرض لأصحابها..

إن الموقف بالتحديد هو أن الدبابة كانت تحمى "البدراوى" من فلاحيه, ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من البدراوى!

ومضينا فى زحفنا الأبيض

وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الأبيض على أعداء الشعب حتى النهاية.. ومن أجل أن نطمئن الجميع– حتى الأعداء– طلبنا من الأحزاب– كما قلت– أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو.

لكن– كما قلت– اعتقد أقطاب الأحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا, نحن الضباط الشبان الصغار, فهم زرق الأنياب وقدامى فى السياسة والحكم.. أما نحن فمن نكون؟

وانتظرنا من زرق الأنياب هؤلاء أن يطهروا أنفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق, وليس كما فعلوا بعد ذلك– كما سيجىء فيما بعد– لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا إلى إنذارهم, ونشر الإنذار فى الصحف وأذيع, وقد جاء فى نهايته تلك العبارة: "وقد أعذر من أنذر.."

التطهير المزيف

وهنا شعروا أن "الثورة" جادة فى المسألة, وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام.

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا, وأدار الاجتماع الأعداء الذين ما قامت الثورة فى مصر إلا لتقضى عليهم, بل ما قامت أية ثورة فى أى قطر من الأقطار إلا للقضاء على أمثالهم...

المهم أن الوفد عقد الاجتماع والسلام, وأصدر الوفد قائمة بأسماء بعض أعضائه الذى قرر إخراجهم من الحزب لتطهيره. وهؤلاء الأشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لإخراجهم, ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد إخراجهم.. وقد ظنوا– كما ظن غيرهم فيما بعد– أنهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك.. وكانت حكاية التطهير مهزلة.. لو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للأشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين!

الـفـصـل الـتاسـع

تــحــديــد المــلــكــيــة

تحديد الملكية والأحزاب

كان هناك رأيان يتصارعان فى اجتماعات الهيئة التأسيسية, وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرأيين..

وكان أصحاب الرأى الأول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت إليها الإقطاعيين, إلا أنه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما أحداث يناير سنة 1952 لتسيير الأمور, على أن نراقب نحن الأحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة.. ذلك هو الرأى الأول.

أما الرأى الثانى فيقول أصحابه: إن حزب الوفد والإخوان وكل الأحزاب فى البلد, يكفاحون- جميعا- من أجل مصالحهم فقط, وليس من أجل مصالح الشعب, والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية, فوجود تلك الهيئات والأحزاب- إذن- معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها.

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة, ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع.. فإلى أى الرأيين اتجه الأعضاء فى النهاية؟!

فى النهاية اقتنع الأعضاء بالرأى الثانى...

اقتنعنا أن كل الأحزاب والهيئات بما فيها- الإخوان- ما هى إلا نتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الأخير.. أى أنها ما وجدت إلا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر.. ورواسب الاحتلال باقية فى رؤوس قادة تلك الأحزاب والهيئات, لأن مصالحهم ارتبطت به وبوجوده وبالنظام القائم فى البلاد.. فالتعاون بين تلك الهيئات والأحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع, فإذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو أن الثورة ستهادن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شئ.. أى أنها لا تكون ثورة.. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامهما ما دامت أهدافها هى جعل الأحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القران الأخير تتولى زمام الأمور...

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والإخوان وباقى القطيع!

وعلى هذا الأساس أعدت الهيئات التأسيسية للضباط الأحرار قـرارا يقـضى بحـل الأحزاب كلها والإخوان أيضا, وإبعاد كل السياسيين القدامى الـذين تعـاونوا مـع القـصر والمستعمر, وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها, والتى بدونها لا يصبح للحزب أو للهيئـة- مهما كانت صفتها- دور فى تطور الشعب أو تحريره من المظالم كلها... أو فى خلق الحيـاة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من أجل إرساء قواعدها الصحيحة.

وفى نفس الوقت يفسح المجال أمام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الأمة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها!

"جمال يقول" هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة إلى هذا القرار, وقف "جمال عبد الناصر"... واعترض على هذا القرار.. وقال:

- يا جماعة.. إنى أخشى أن يفهم البعض من هذا القرار أننا نتجه نحو الديكتاتورية!

ومضى "جمال" يقول لنا:

- إن ثورتنا ديمقراطية, وهى قد قامت- أساسا- لإعادة حقوق الشعب بد انتزاعها من أعدائه, الملك والاستعمار والحكام, ونحن لا نستطيع أن نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد, لأن الديكتاتورية لا تقوم إلا لحماية مصالح طبقة, والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الأخـرى... وليس فى مصر طبقة يمكن أن تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب إلا الإقطاع, ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين, فلمصلحة مـن تقـام الديكتاتورية؟!

لمصلحة الرأسماليين؟!

إننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين, فالديكتاتوريـة إذن تـصبح ضد أهداف الثورة؟!

وبدأنا ننصت إلى كلمات "جمال" وهو يتحدث إلينا معترضا على قرار حل الأحـزاب والهيئات, ومنع السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى.

وعاد "جمال" يقول:

– أحب أن تفهموا أن الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الأخرى فى الأمة, وهى– أى تلك الطبقة– لا تستطيع أن تستغل الشعب إلا فى ظل النظام الديكتاتورى, فأية طبقة تلك التى نريد نحن أن نستغل الشعب لحسابها ونبطش به, ونحكمه بالكلمة المجردة من أجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها؟

إننا لا نمثل طبقة الرأسماليين, فنحن جميعا أبناء فلاحين ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى إقامة نظام ديكتاتورى.. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع أبناء العائلات المتوسطة الفقيرة والكادحة.. هى نفس مصالح الشعب, وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق إلا فى ظل نظام ديمقراطى سليم... يفرض إرادة تلك الطبقات على الحكم, فيظل ملتزما حدودها...

الديكتاتورية لاستعمار الشعوب!

ومضى "جمال" يقول:

ومسألة ثانية وهى أن الديكتاتورية تقام أيضا من أجل استعمار بلاد أخرى.

بمعنى أن تقرر دولة ما فتح أسواق عالمية أمام انتاجها, وتكون تلك الأسواق تسيطر عليها دول أخرى, وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى أرضها لتوجيه شعبها إلى الحرب, أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها.

فهل نحن نريد استعمار دول العالم؟

لا شئ من هذا على الإطلاق له وجود فى رؤوسنا أو فى حياتنا...

فكيف إذن نقيم حكما ديكتاتوريا؟

إنه من المحال– ماديا– إقامة مثل هذا النظام فى مصر, لأن الوضع فى مصر يحتم إقامة نظام ديمقراطى...

ومضى "جمال" يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال:

– أنا بطبيعتى أنفر من الديكتاتورية ولا أتصور أنه من الممكن العمل فى ظلها وأخشى أن يفهم بعض الناس, هنا أو فى الخارج من هذا القرار الذى أعدتموه– أننا نستهدف إقامة نظام ديكتاتورى... ففى هذا الفهم الخاطئ تعطيل للثورة, وعرقلة لخطواتها وستحاول

الرجعية المصرية وكل الأعداء استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطئ للقرار المذكور في تشويه ثورتنا!

صحيح أن كل الهيئات والأحزاب في مصر- كما وضح لنا- لا تصلح على الإطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد أو للعمل إلى جانب الشعب, لكني أرى أن نعطي الجميع فرصة ولا داعي لهذا الإجراء العنيف, فربما أودى بنا هذا إلى الديكتاتورية, والفرصة التي سنعطيها للأحزاب والهيئات هي أملنا الأخير فيها.

لنعط الأحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد أهدفها فإذا ما حددت تلك الأهداف والبرامج, وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها- أي الأحزاب- أن تتعاون مع الثورة, وتمضي معها في طريق واحد.. فتتبلور كل الجهود داخل الثورة, ويصبح تحقيق الديمقراطية السلمية أمرا هينا في الشهور القادمة.

وبعد أن انتهى "جمال" من حديثه عن الديكتاتورية قال للأعضاء:

- أما إذا رأيتم الأخذ بذلك القرار فإني أدعو لكم بالتوفيق وأراني مضطرا إلى الانسحاب, وسأدعو لكم بالتوفيق, وسأكون طوع أمركم في الجيش أو خارج الجيش, وفي هذا الحالة أرجو أن تعتبروني مستقيلا من الهيئة!

وتوجه "جمال" على الفور إلى منزله بعد أن ترك استقالته!

"نجيب" وافق على حل الأحزاب!

ذلك كان موقف "جمال عبد الناصر" بعد أن قرر أعضاء الهيئة التأسيسية حل الأحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أي نشاط سياسي.. وكان اللواء "نجيب" يرى نفس الرأي.. أي حل الأحزاب والهيئات.

كان "جمال" هو الوحيد الذي عارض وأصر على موقفه, وأمام هذا ختم "جمال عبد الناصر" كلمته في ذلك الاجتماع التاريخي بقوله:

- إننا إذا أعطينا الأحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد "فاروق".. نكون قد أشركنا الشعب معنا في الحكم على صلاحية تلك الأحزاب والهيئات أو عدم صلاحيتها!

رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد, فكلنا كنا نؤمن بأن "جمال" لا يتكلم إلا إذا كان حديثه قائما على أسس واقعية.

إنه دائما ينظر إلى بعيد, إنه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف أين يضع قدميه... وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دوما بأن نلتصق بالشعب ولا ننعزل عنه.. وهو كان دوما يرى إشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لأن المسألة مسألته وليست مسألة أحد غير الشعب...

دينامو الثورة...!

لقد عرفنا "جمال" منذ عام 1943 عندما تسلم "جمال" قيادة التنظيم... عرفنا فيه "الدينامو" الذى يحرك الجهاز كله, ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية, مرتين قبل الثورة ومرة بعدها!..

ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب.. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا إلى الموافقة!

وقد ظللنا نفكر فى كلمات "جمال" التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه إلى حد تقديم استقالته!

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها.. وكنا نعرف أن "جمال" يؤمن إيمانا عميقا بالتنظيم...

كان يقول دائما بأنه لا يمكن أن يتم أى عمل بدون خطة.. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات.

كان كما قلت هو "الدينامو" الذى يحرك الجهاز كله.. وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره هو الذى يحسم الموقف.. ومن أجل هذا كله آمنا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة.. وتلك هى العقلية التى يتحتم أن يتصف بها كل قائد..

وأمام هذا كله, رفضنا استقالة "جمال" فلا يعقل أن يدور جهاز – أى جهاز – بدون الشىء الذى يحركه! و"جمال" هو الذى كان يحرك جهاز الثورة!

ورأينا أنه لابد من أن نعيد النظر فى القرار.

وفتحنا باب المناقشة.. مرة ثانية فى الموضوع.. وفى النهاية رأينا أن نعطى الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد.. بما يتفق ومصالح هذا الشعب هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى ففى إعطاء الفرصة للأحزاب والهيئات إشراك للشعب معنا فى الحكم عليها.. وسوف يعرف إن كانت ستعمل- بعد إعطائها تلك الفرصة- على تحقيق مصالحه وأهدافه, أم أنها لا تزال كما هى تستهدف مصالح قادتها وأقطابها!

صممنا على إجراء الانتخابات

وصدر القرار فعلا بهذا.. وتحدد- فى القرار- موعد أقصاه شهر فبراير عام 1953, أى ستة شهور لإجراء الانتخابات, بعد أن تنتهى الأحزاب من تطهير نفسها, ومن تحديد أهداف جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد.. وتتمشى مع التطور الذى لابد منه للشعب.

وكان "على ماهر" فى ذلك الوقت لا يزال فى الحكم, فأصدر بيانه المشهور الذى هاجم فيه الأحزاب كلها.. لكنه أغفل ذكر الموعد الذى حددته القيادة لإجراء الانتخابات!

وكنا قد أبلغناه بذلك القرار الذى يتضمن إعطاء فرصة للأحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات... بالتطهير وتحديد برامج وأهداف جديدة!

وبعد أن صدر بيان على ماهر بساعتين.. وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات, أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا بإجراء الانتخابات فى فبراير سنة 1953...

فماذا حدث؟..

لماذا لم تتم الانتخابات ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء إلى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية؟..

لماذا لم يقرروا مد أيديهم للشعب فى كفاحه الطويل المرير؟

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة؟.. وكان الهدف الأكبر للثورة فى ذلك الحين, أو بعبارة أخرى كان الأساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية.. أى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد.. الإقطاع.

ديكتاتورية وديمقراطية!

فهل كان قانون الإصلاح الزراعى وهو قانون أخذت به أحدث الــدول فـــى التقــدم والتطور.. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الأحزاب والهيئات المصرية.. ونوايا قادتها وأقطابها؟!

أو ما هو الشىء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة– أى الشعب– فمنع تنفيذ قــرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور.

إنها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا.. إن رئيس الوزراء نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون.. كما عارضه كل الباشوات.. فهل أخطأنا نحــن وأصـــاب الباشوات!

هل كنا ضد الديمقراطية حين أصررنا على ضرب الإقطاع والبطش به؟!

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين أردنا منع شخص واحد من أن يملك الأرض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد؟!

إن كلمات "جمال عبد الناصر" لا تزال فى أذنى, عندما قال:

– سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الأحزاب والهيئات لتــشوه ثورتنـــا, فتصفها بالديكتاتورية.

أوصياء العرش والإقطاعيون

حددنا– إذن– موعد الانتخابات كما قلت, وأعطينا للأحزاب فرصة لتراجــع نفــسها, وتقرر هل هى تؤيد أحداث يوليو مثل الشعب, أم هى قد روعت بما حدث فى ذلــك الــشهر الخالد؟

أعنى أننا أردنا أن نكشف الطريق أمام الثورة...

فقد كان حتما علينا أن نعرف الأعداء الذين سيتربصون بالثورة وهى ماضـــية فـــى طريقها, فإذا ما عرفناهم أصبح الطريق أمام الثورة أكثر أمنا ونورا, فر يطعن الــشعب فـــى ظهره وهو ماض فى زحفه نحو المستقبل.

وصدر القرار من الهيئة التأسيسية- كما قلت- وحددنا فيه شهر فبراير عــام 1953 لإجراء الانتخابات وكان أمام الأحزاب التى ستخوض معركة الانتخابات أن توضح نواياهــا تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد "فاروق".. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيهــا لا ترى أنه ينبغى أن يظل بها, مهما كانت صفته فى الحزب.. وخاصة الأفراد الــذى ارتبطــت مصالحهم بمصالح العرش الذى طرد صاحبه.

وبعد أن تكون تلك الأحزاب قد غيرت من برامجها وأهدافها أيضا, فلا يعقل أن تبقى البرامج والأهداف التى حددتها الأحزاب لنفسها أيام "فاروق".

والزمن قد تغير.. وكل شئ كان لابد أن يتغير وإلا فلا كانت الثورة ولا كان الكفــاح فى سبيل قيامها..!

وكان "على ماهر" رئيس الوزراء نفس السياسى المصرى الذى فرضته الثورة علــى "فاروق" قبل إخراجه من أرض الثورة.

وأذاع "على ماهر" بيانا- كما قلت- هاجم فيه الأحزاب, وأغفل فى البيان الإشارة إلى قرار الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار, والذى حددت فيه القيادة الانتخابات, واضطررنا بعــد صدور بيان "على ماهر" إلى إصدار بيان فى الحال أكدنا فيه إصرارنا على تحديد شهر فبراير المذكور لإجراء الانتخابات.

لقد كان الوضع غريبا جداً, فالوزارة التى تولت الحكم بعد 23 يوليو كانــت فــى واد والثورة فى واد آخر..

كنا نريد ثورة, والوزارة لا تكاد تشعر بما يجرى وسيجرى تحت سماء مــصر مــن أحداث..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة أننا فرضناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهــوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة!

مفاجآت لحكومة "على ماهر"

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد أن يحدث تغيير فى الوضع الــسياسى والاقتــصادى والاجتماعى..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة إلى ضرب الإقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه...

وأكاد أعتقد أن الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها, فقد كان "على ماهر" يظن فى اللحظات الأولى للثورة أن المسألة لا تخرج عن أن الجيش له طلبات, ويريد أن تنفذ, ثم بعد ذلك يبقى كل شئ كما هو!

لكنه فوجئ بعد يومين من قيام الثورة برجال القيادة يكلفونه بحمل الإنذار إلى الملك بمغادرة البلاد وكان "على ماهر" قد اطمأن على بقاء النظام, بعد أن حمل طلبات الجيش إلى الملك, وموافقة الملك على تلك الطلبات...

وبعد ذلك توالت المفاجآت أمام حكومة "على ماهر"...

وعرف أن القيادة تريد إنهاء مسألة الإقطاع فى الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسف فيه أغلبية الشعب- الفلاحون- طوال مئات السنين.. فلم يكن لتلك الملايين إرادة على الإطلاق ولا حقوق على الحاكم.. بل الإرادة كانت إرادة الإقطاعيين والحقوق كلها لهم..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة العربية.

الفلسفة التى تحددت فى منشورات الضباط الأحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المريرة فى سبيل الشعب.

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة رأس المال.. حالتان كانتا لابد أن تزولا لتحقيق أهداف الشعب.. لكن الوزارة- كما قلت- كانت فى واد والثورة فى واد آخر..

وأعود إلى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات؟

طلبنا- كما قلت- من الأحزاب أن تحدد موقفها من الثورة.. أى من أهداف الشعب.. كشرط أساسى للتعاون بين الثورة وبينها.. لأنه كان لا يعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد "فاروق" والباشوات وأذنابهم والأرستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية.

إن الإقطاع هو الذى سيكسب المعركة كما كان يكسبها دائما فى كل الانتخابات التــى جرت فى هذه البلاد.

فالإقطاعى يملك القرى والأرض بمن فيها ومن عليها من بشر.. ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الإقطاعى. والإقطاعى فى يده أن يجيعه ويشرده مع أبنائه.. فكيف السبيل إلى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى يمكنه أن يختار الذى يمثله فى برلمان بلاده؟

إن السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج إلى سؤال..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب, وبعد ذلك ستكون للناخب الإرادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى البرلمان.. لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة.. والعــدو هم هؤلاء الأفراد القلائل الذين يملكون الأرض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر أغلبية الشعب.. الفلاحين..

لقد تقرر هذا فعلا كإجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد للديمقراطي الصحيحة التى مــا قامت إلا من أجل تحقيقها للشعب.

"جمال" يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة.. أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض إرادته وحكم نفسه بنفسه, وأراد "جمال" أن يشرك كل الهيئات والأحزاب فى تحقيق أهداف الثــورة وفــى صنع مستقبل الشعب.

ودفعه إيمانه بهذا الرأى إلى مقابلة "فؤاد سراج الدين"... قطب الوفد الكبير ومحــرك سياسته وصاحب الكلمة الأولى فى اتجاهات الحزب المذكور.

وفى منزل اليوزباشى "عيسى سراج الدين" قريب قطب الوفد وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة!

وكان مع "جمال" فى ذلك الاجتماع "عبد الحكيم" و"صلاح وبغدادى", وكان مع "فــؤاد سراج الدين" "إبراهيم طلعت" و"أحمد أبو الفتوح".

وتكلم "جمال" عن حزب الأغلبية, وعن إيمانه بأنه من الممكن جدا للحزب الكبيـــر أن يصلح من الأوضاع السائدة فيه وفى قيادته, ويغير من أهدافه وبرامجه بما يتفــق والوضـــع السياسى الجديد بعد "فاروق".

ومضى "جمال" يقول لسراج الدين وزميليه: إن حزب الوفد لو فعل هذه لأصبح مـــن السهل أن يسير دفة الأمور, فالثورة لا تريد ديكتاتورية.

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا واحداً هو أن يصدر الحزب بيانا يعلن فيه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية, لأن الديمقراطية كما يفهمها هو, بل كما يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع أنحاء العالم ليست برلمانا فقط.. بل هى تحرير الفـــرد من كل القيود.. هى تحرير عبيد الأرض حتى يتمكن أن يعبروا عن إرادتهم وبالتالى يمكـــنهم اختيار ممثليهم فى البرلمان بلا ضغط من أصحاب الأرض الإقطاعيين!

واستمرت المناقشة أربع ساعات... "جمال" ورفاقه يتحدثون عـــن حقـــوق الـــشعب والأسلوب العلمى لإعطائه تلك الحقوق.. لكن "فؤاد سراج الدين" رفض الموافقة على تحديـــد الملكية.. وقال: إنه لا يمانع فى رفع الضريبة على الأرض, أما تحديد الملكية فلا.. ولا!

ورد عليه "جمال" بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من إيرادات خزينة الدولة, ولكنه لا يحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة.. أى تحطيم قيود عبيد الأرض يختاروا ممثلـــيهم الحقيقيين فى البرلمان بلا قهر أو إرهاب. وهذا هو أساس الديمقراطية الحقة..

ثم انتهى الاجتماع عندما قال "فؤاد سراج الدين": إنه سيعرض الأمر على حزب الوفد فى الإسكندرية, وبعد ذلك سيصدر بيانا فى أقرب وقت...

وخرج "جمال" والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد..

وقد سافر "فؤاد سراج الدين" إلى الإسكندرية فعلا, وعقـــد الوفـــد اجتماعـــه ونـــاقش موضوع تحديد الملكية– أى زوال الإقطاع– ثم رفض الحزب الموافقة على هذا الإجراء!..

لم يصدر الحزب البيان كما وعد "سراج الدين".. فماذا كانوا يتوقعون؟! وماذا كـــانوا ينتظرون من القيادة؟!

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من أيديهم, وأنهم هم الذين سيحكمون الـــبلاد رغم كل شئ.. وبلا ثورة؟!

إن المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم.. ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى... ولا يحتم إعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن إرادته وحكم نفسه بنفسه.

وهنا فقط أقتنع "جمال" واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والأحزاب والهيئات كلها فى واد آخر.

وأين الثورة؟

ورئيس الوزراء- كما قلت- قد عارض فى تحديد الملكية مثلما عارض حزب الوفد, وقال لنا إن الضريبة التصاعدية تكفى.. أى أن الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الأشخاص الذين مثلوا الفلاح رغم أنفه فى البرلمان.. وفى هذه الحالة كان الإقطاعيون ودعاة سيطرة رأس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان؟!

فأين إذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا؟..

بل أين هى الديمقراطية لو كنا تخلينا عن مبادئنا وأهدافنا؟!..

أى لم تحدد الملكية وجرت الانتخابات فى فبراير.. والأحزاب يسيطر عليها الإقطاعيون والأرستقراطيون أعداء الشعب؟!

إن الأحزاب لم تستجب لنداء الثورة.. وبقى نفس الأقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطية يقودونها, ويتحفزون لمعركة فبراير الانتخابية ليوقفوا زحف الثورة بعد فوزهم, كما كان الأمر يجرى فى الماضى!

"رشاد مهنا" مع الإقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فى تحطيم الإقطاع وحده.. بل إن عضوين فى مجلس الوصاية عارضا قانون الإصلاح الزراعى وبشدة.. فأى موقف أعجب من هذا؟!

وكيف كنا نستطيع تحقيق الديمقراطية الصحيحة وأهداف الشعب لو انسقنا مع التيار, وتركنا كل شئ كما هو بلا تغيير؟!

إن "رشاد مهنا" و"بهى الدين بركات" عارضا القانون, وهما الوصيان على العرش اللذان وضعتهما الثورة فى هذين المكانين..

وكما قلت كان تحطيم الإقطاع هو الأساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والأحزاب والهيئات...!

وهكذا اختلفنا.. وكان خلافا جوهريا خطيرا..فنحن نريد ثورة.. وهم يريدون حكما..!

قلنا للحكومة...

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير فى جلسة دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة "جمال عبد الناصر", و"جمال سالم", و"صلاح سالم" كممثلين للقيادة. كما حضر الجلسة "رشاد مهنا", و"بهى الدين بركات", و"على ماهر", و"عبد الجليل العمرى"...

فانظروا إذن إلى الموقف كيف كان عجيبا ومثيرا..

إن رجال الثورة لم يتراجعوا.. وقالوا لرجال الحكومة وللوصيين على العرش: إنه لابد من إنهاء مسألة الإقطاع.. والمسألة ليست اقتصادية فقط, بل هى فى صميم السياسة!

فالشعب الذى فرض إرادته على "فاروق" وأرغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لأن الملك كان فاسدا فقط.. بل لأنه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة, ويجب أن تزال كل العقبات أمام الثورة لتحقيق هذه الديمقراطية.. وبقاء الإقطاع, ونزول الإقطاعيين إلى معركة الانتخابات فى فبراير عام 1953 سوف لا يحقق هذه الديمقراطية, وسيظل الوضع كما كان أيام "فاروق": برلمانات يتثاءب أعضاؤها فى مقاعدهم, ولا يستيقظون إلى ليقولوا نعم.. موافقون!..

والثورة تريد برلمانا يمثل أعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا إرغام!

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة أياما عديدة..

الأحزاب ترفض نداء الثورة...

وشعرنا فى تلك الأيام أن الإقطاعيين بدءوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش, ليسدوا الطريق أمام الثورة.. ولم تتحرك الأحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد, والملايين من أبنائها يتطلعون إلى العدالة والحرية والحق

والعدل والعلم فلم تمكنهم تلك الأحزاب التى لت تمثل إلا أصحابها من تحقيق هدف واحد مـــن هذه الأهداف..

وأنى أذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام حكومة الوفـد.. حـين وقـف الدكتور "طه حسين" وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف, حتى تتمكن الوزارة من إنــشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد.. ويومها وقف "البدراوى" وصرخ فى برلمان الأمة قائلا: "طيــب علموا الشعب, وبكرة تشوفوا حيجرا لكم إيه منه!".

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام.

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من ميدان السياسة ليتعلم الشعب, وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه؟!

ما أروعها من ديكتاتورية, لو كانت كذلك.. لو كانت تستهدف أن يسكت "البــدراوى" إلى الأبد, فلا يتكلم باسم الشعب.. وإذا كانت تستهدف أن يجلس فى البرلمـــان مـــواطن مـــن صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد أو أسرة.

تلك هى ديكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم..

ديكتاتوريتنا التى حتمت أن يتحرر ملايين الفلاحين من السخرة.. من طغيـــان مالـــك الأرض, ليبدءوا رحلة جديدة فى تاريخ تطورهم, وليختاروا- بلا ضغط مـــن "البـــدراوى" أو "سراج الدين" أو أمير مخمور- ممثليهم فى البرلمان!..

إنها ديكتاتورية الشعب كما أعلنها "جمال عبد الناصر" منذ شهور على الملأ.. وهـــى الديمقراطية الحقيقية, لا ديمقراطية العائلات والأمراء والمخمورين!

ومن أجل هذا.. من أجل فرض إرادة الشعب على الحاكم فى البرلمـــان كمـــا أرادت الثورة, لم تحدد الأحزاب موقفها, لم تغير من برامجها أو أهدافها, لم تقبل الوضع الجديد.. لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة..

ولم يخرج من قيادتها الإقطاعيون والأرستقراطيون والسماسرة.. بل بقوا ليخوضـــوا معركة فبراير كأن شيئاً لم يحدث بعد "فاروق"!

الـفـصـل الـعــاشــر

"مــحـمـد نـجـيـب" والـثـورة

إشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن "محمد نجيب" بصراحة, وتروى لنا قصته كلها مع الثورة؟!

والواقع أن كل أصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق.. فليس من المنطق قطعا أن أتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى وأحزاب الماضى ثم أغفل قصة نجيب معنا.. ومضيت مع خواطرى.. ثم وجدتنى فى حيرة.

كيف أبدأ القصة؟!

ثم هل هذا الكلام فى موضوع انتهينا منه؟!

وعدت أتطلع إلى الخطابات المتناثرة على مكتبى.. إن أصحابها ينتظرون الآن ما سوف أقوله لهم عن اللواء "نجيب", ولابد أنهم وكل الشعب يريد أن يعرف القصة.. وهذا ما زاد من حيرتى!

لقد سكتنا على الدوام– نحن رجال الثورة– حيال ما يقال عنا, وموقفنا من اللواء "نجيب", وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا أن اللواء "نجيب" اختلف معنا, أو اختلفنا نحن معه لأنه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب.. أما نحن فلا.. نحن نخالفه فيما ذهب إليه, ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه إلى الحرية والديمقراطية والدستور!

وطارت الشائعات والأقاويل هنا وهناك, وكل شائعة كانت تؤكد ديمقراطية "نجيب" وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة, وأعضاء المجلس المذكورة يلوذون بالصمت ويتركون الأقوال تترى والإشاعات تطير إلى حيث تشاء, ولم يحاول مجلس الثورة إذاعة القصة كلها.. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة...!

كنا وحدنا الذين نعرف الحقيقة, أما الشعب فكان لا يعرف سوى الإشاعات!

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله؟!

ومرة ثانية– أو ثالثة لا أدرى– عدت إلى كومة الخطابات أنقل بصرى بين سطور بعضها.. إن أصحاب الخطابات يريدون الحقيقة.. يريدون أن يعرفوا... هل "نجيب" اختلف معنا لأنه ديمقراطى ويريد الدستور, أم لسبب آخر؟!

إن المسألة لم تعد تحتمل السكوت.. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية..

و"نجيب" إن كان على صواب, فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أم فى الغــد.. إن كان قد أخطأ, فالشعب سيعرف أيضا كيف أخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد.

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها, وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة.. إنه يقول لى:

"قل لى الحقيقة كلها, فمن حقى ومن حق كل مواطن أن يعرفها.. لماذا قلــتم لنـــا إن "محمد نجيب" هو قائد الثورة, ولماذا حملتموه على أكتافكم إلى الوجه البحرى ثم إلى الوجـــه القبلى, ثم قدمتموه إلى الدنيا كلها شرقها وغربها على أنه قائدكم.. وبعد ذلك تبين أنـــه كـــان يتآمر على هذه البلاد, ثم لا يلقى جزاءه.. نريد أن نعرف الحقيقة؟!".

وقد مرت على لحظات بعد أن قرأت تلك الرسالة, وكانت لحظـــات مليئـــة بـــالحيرة والتأمل, ثم قررت أن أروى قصة "محمد نجيب" كلها... قررت أن أرويها لكى نسدل الـــستار نهائياً على هذا الموضوع.. ثم نستريح ونريح! وأمسكت بالقلم وتوكلت على الله..

من أين أبدأ؟!

هل أبدأ قصة اللواء "نجيب" بتاريخ أزمة 26 فبراير عام 1954 التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة "نجيب" ثم لم يلبث أن أعاده؟!

أم أبدأ بيوم 25 مارس وقراراته المشهورة...؟!

إن عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن.. وكل موقف منها يصلح ليكــون بدايـــة قصة رهيبة.. لأضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة!

هناك مثلا موقف 27 مارس عام 1954.. وكنا يومها قد ذهبنا إلى مطـــار ألماظـــه لنودع صاحب الجلالة الملك سعود, وكان الوقت فى الصباح الباكر, وعرجنا علـــى "مـــيس" ضابط الطيران لتناول طعام الإفطار على مائدتهم, وما كدنا نمسك بأقداح الشاى حتى اقـــتحم "الميس" خمسة من ضباط الطيران على وجوهم الحنق الشديد.. وكانوا يلهثون وهم يقولـــون لنا:

- تعالوا.. الحقوا "نجيب"..؟!

وبداية أخرى لقصة "نجيب".. يوم أن عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين أوراق "حافظ عفيفى", والتقرير مرفوع إلى السدة العلية الملكية قبل الثورة بيومين اثنين فقط... فمـــن الذى أرسله إلى القصر.. إلى السدة العلية الكريمة؟!

إنه بطل هذه القصة.. اللواء "نجيب"!

إن خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى.. هاهو الخيط الأول..

هاهو "جمال عبد الناصر" يذكر لنا اسم "نجيب" لأول مرة قبل قيام الثورة, ولم يكـــن "نجيب" وحده الذى رشحه "جمال" ليوضع على رأس الثورة, بل كان هناك شخصان آخـــران رشحا لهذه المهمة مع "نجيب", فلماذا وقع الاختيار على "نجيب"؟!

الأيام الأولى

إننى أرى الآن أمامى وجه "نجيب" وهو جالس معنا فى الأيام الأولى للثورة.. إنه كان وجها طيبا يفيض بالإخلاص الشديد للثورة!

كانت تصرفات "نجيب" تبدو لنا رائعة للغاية فى الأيام الأولى, عندما كنا نعمل جميعاً فى مبنى القيادة بكوبرى القبة, ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا.

كان "نجيب" يتوجه إلينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلاً:

- أنا أشعر بالخجل من نفسى, لأنى أراكم تنسون أنفسكم تماما, وأنا لم أفعـــل شـــيئا, لكنكم تنسبون إلى كل شئ, وكل شئ قد تم بمجهودكم أنتم..

وكانت تلك الكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب- بمناسبة وبغير مناسبة- كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به, مما دفعنى إلى أن أخرج إلى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن "نجيب" وزعامة "نجيب"!

بل إن "عبد اللطيف البغدادى" تأثر ذات مرة إلى الحد الذى قال فيه لنا: "إننى أحب هذا الرجل كأبى تماما, وأخشى أن يكون حبى له أكثر.."

فماذا حدث بعد كل هذا ؟.. وبعد أن وقف "عبد الحكيم عامر" فى قريته "اسطال" يبايع نجيب أمام أهله, وبخطاب حماسى رائع كان "عبد الحكيم عامر" خلاله متأثراً إلى حد أنه تشنج!

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل, لأنه كان فى الأيام الأولى لا يترك مناسبة دون أن يبدى فيها خجله منا, ويعبر فيها عن دهشته لأننا ننسى أنفسنا, وننسب كل شئ له, وهو الذى لم يفعل شيئا؟!

إن قصة اللواء "نجيب" مليئة بالأحداث والغرائب..

إنها أعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث, إنها الأسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت أيضا فجأة كضباب الضحى.

إنها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لا يؤمنون إلا بأنفسهم, حتى إذا كانت وسيلة ذلك تضليل الجماهير!

إنها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات..

وهى أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة "ثورة" ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والأحزاب.

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى.. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع وأصبح لا يعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر, أو تنشق الأرض فتبتلع أفراده جميعاً.

إنها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل, وخاضت أعنف المعارك وصمدت ثم أثبتت أن الشعب سينتصر على الدوام..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية...

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة, فأنا أعدها منذ اليوم.

أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل "نجيب" على أكتافنا إلى قبلى ثم إلى بحرى.. ورأونا ونحن ننكر أنفسنا ونذكره, ورأونا ونحن نصنع منه زعيما, وهو يحفر للثورة قبرا...!

"نجيب" يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء "نجيب" من أبواب التاريخ؟!

من فتح تلك الأبواب أمامه, وقال له: تفضل.. أنت زعيم؟!

وعلى أى أساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب؟!

لقد هتف الناس والجيش له من الأعماق, وتردد اسمه على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لأنه القائد الذى انتصر وحرر بلاده...

لقد كان "نجيب" رمزاً لبطولة أسطورية بهرت العالم كله.

وفى كل بيت فى مصر علقت صورته, صورة البطل الذى ظهر فجأة فى أرض النيل, ليحرر العبيد, ليطعم الجياع ويبرئ المرضى, وينشر العلم والعدل والحق والمساواة...

الجميع قالوا له: أنت الزعيم, أنت بطل: أنت منقذ الشعب... أنت محرر الوادى.

لم يختلف أحد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامة "نجيب" وبطولة "نجيب" وقيادة "نجيب", وكان عليه أن يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها..

لم يكن ينقصه شئ أو يعطله شئ.. فكل مقومات الزعامة والبطولة والمد والولاء قد وضعت تحت أقدامه, فماذا حدث؟! لماذا لم يتقدم فى الطريق إلى النهاية.. وماذا كان يعطله؟!

لقد أخلينا أمامه الطريق تماما, ووضعناه على رؤوسنا, ثم أنكرنا أن هناك أبطالا غيره.. كان مجرد الإشارة إلى بطل آخر غير "نجيب" جريمة فى رأينا..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم 23 يوليو يجب أن ينسب إلى رجل واحد, رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر...

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال أعوام من نضالنا قبل 23 يوليو هو من أجل هذا الشعب.. من أجل ثورته على أعدائه, وكل ثورة يجب أن يقودها زعيم.

و"نجيب" أصبح الزعيم.. ثم ماذا حدث؟

لماذا انهارت الزعامة.. لماذا اختفت الأسطورة سريعاً كضباب الضحى؟..

هل لأن مجلس الثورة يريد الدكتاتورية, و"نجيب" يريد الديمقراطية؟ ومن أجل هذا عزلناه وأبعدناه عن الطريق؟...

إننى هنا أنشر الحقائق كلها, ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء "نجيب".. وليعرف الشعب من هم الثوار, ومن هم الحكام؟..

وقبل أن أبدأ القصة أود أن أسجل هنا خاطرا مر بذهنى وأنا أمسك بالقلم لأبدأ القصة.. تخيلت "جمال" و"عبد الحكيم" و"صلاح" و"بغدادى" وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الأحرار, وقد بطش بهم "نجيب" فى أزمة مارس الماضى, وأصبح الحاكم على البلاد..

فماذا كان سيحدث فى مصر, بعد البطش بالذين صنعوا "نجيب"؟..

هل كان "نجيب" سيطلق الحريات والعدالة والحق.. وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية.. وعلى يد من؟..

هذا هو السؤال..

على يد من كان "نجيب" سيحقق أهداف الثورة المصرية؟..

على يديه وحده.. أم كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجئ بإبراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل أقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد؟..

على أية حال, الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع "نجيب" بالبلاد بعد أن يبطش بنا؟!

والذى كان معروفا أنه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الإخوان والسعديين والوفد والأحرار والدستوريين, ويلغى مجلس الثورة.

الثورة والدستور

قلت: إن الأحزاب لم تفهم معنى الإنذار الذى وجناه إليها بضرورة تطهير نفسها.. وكان مفروضا أن تسرع تلك الأحزاب فتغير من برامجها, ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها- إذا استطاعت- لكى تبعد عن الأذهان الفكرة السائدة عنها- بالرغم من حسن نوايا

الثورة- وهى أن هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة, وأن الشئ الذى يعنيهم سواء أكانــت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد.

والواقع أن موقف الثورة من الأحزاب كان خاطئا من البداية.. فهى- أى الثورة- كان حتما عليها, أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا الماضى, والأحزاب بــشكلها الموجــود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة.. وما حدث فى البلاد- من مآس ومن ظلم وغدر واســتبداد منذ وجدت فيها تلك الأحزاب- لا تقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما, بقدر ما تقع هــذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الأمور بالتتابع فى كنف دســتور إقطــاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب.

أقول إنه كان مفروضا بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء إلــى القيــادات الــسياسية الموجودة فى البلاد, أن تفهم تلك القيادات أن ما حدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر, بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم يفرض على كل القيادات السياسية- إذا كانت حقا ديمقراطية- أن تؤمن به وتعمل على تحقيقه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور, بل كان مفروضا أن تنظر فى بعض القيادات الــسياسية فتضع برامج تهدف إلى القفز بركب التطور فى البلاد إلى أبعد مدى, لا إلــى تعطيلــه كمــا أرادت بعض تلك القيادات.

ويبدو ن رفض الأحزاب الوقوف إلى جانب التطور الاجتماعى كــان مــن صــالح البلاد.. فلو كانوا قد فعلوا لظهرت بعد توليهم الحكم حقيقة شعورهم ومدى إيمــانهم بــالثورة المصرية واتجاهها الإنسانى نحو التحرر والعدالة.

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طــوال ربــع القــرن الأخير, كان كل أفرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحها- على الإطلاق- مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة أهدافها الحقيقية من مصالحها.

وبالرغم من تراجع الأحزاب عن خط الثورة المصرية, وبالرغم من رفض قيــادات تلك الأحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة, فإننا ظللنا نؤمن بإمكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد 23 يوليو عام 1952, فأردنا أن تكــون فــى البلاد أحزاب, وأن تجرى انتخابات, وأعددنا قانون الأحزاب فعلا, وكان الهدف الأساسى لذلك

القانون هو أن تسجل الأحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الأشخاص الذين ثبت أنهم أفسدوا فى الحياة السياسية, وهم أكثر من أن نحصيهم هنا...

"النحاس" و "سليمان حافظ"

وبدأ الوفد يناور ويحاور, ثم وقع حادث "صلاح الدين", و"سليمان حافظ" وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الإطلاق.

فقد ذهب "محمد صلاح الدين", وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت, ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية.. وفى مكتب "سليمان حافظ" جلس "صلاح الدين" يتحدث مع الوزير.. وفجأة قال "سليمان حافظ" لصلاح الدين:

– "مصطفى النحاس" ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع.

وطلب "سليمان حافظ" ألا يشترك النحاس بصفة فعلية فى إدارة حزب الوفد الجديد.

وهرول "صلاح الدين" إلى "سراج الدين" وأبلغه الحكاية, وذهب "سراج الدين" إلى "النحاس" وروى له ما قاله "سليمان حافظ", ثم بدأت المعركة بين الوفد و "سليمان حافظ".

وكما قلت: لم يكن للثورة دخل فى الموضوع, لكن الحملة التى شنها الوفد على "سليمان حافظ" امتدت إلى الثورة نفسها.. فكيف "أحمد أبو الفتوح" سلسلة مقالات تحت عنوان "إلى أين..." وقد أظهر فيها بطولة خارقة, فبدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب, وأعتبرها انقلابا من انقلابات الأقلية السياسية, وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد.

وأذكر أننى كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون:

– هل من المصلحة أن يقال مثل هذا الكلام؟.. إننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين, بل لمصلحة الشعب كله, فما لنا نحن و"سليمان حافظ" و"أحمد أبو الفتوح" وباقى الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة, والذين إن جد الجد وأحسوا برقابهم تتأرجح فوق أجسادهم– كما حدث لنا ليلة 23 يوليو– لفزعوا وولوا الأدبار...

تجاهل الوضع الثورى...

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار, وبعضهم قال: إن هذا الكلام فيه تضليل للشعب, لأن "أحمد أبو الفتوح" اعتبر أننا حكام وتجاهل الوضع الثورى.

وقلت يومها لزملائى: دعوه يكتب كيف يشاء.. ودعوه يفرغ كل ما فى رأسه من كلام, ولنر صدى كلامه عند الرأى العام..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين, لأنها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الأحزاب.. مدح فى هذا وقدح فى ذلك ولا شئ غير ذلك.. لا موضوع ولا رأى ولا توجيه ثورى, أو على الأقل يستهدف الصالح العام, لا مصالح حزب الوفد فقط..

كانت مقالات "إلى أين..." كلها مدحا فى "مصطفى النحاس" كأن "مصطفى النحاس" هو القضية, وليس الشعب.

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف "النحاس" أثناء تواليه الحكم آخر مرة فى القصر.. وفى تحالف حزبه معه إلى أبعد مدى, وتنازل عن شكله الشعبى من أجل أن يبقى الحكم.. لهذا كان مدح "النحاس"– آخر حليف سياسى لفاروق والإقطاع– شيئا غير مستساغ بالمرة فى وقت رأى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد.

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة "إلى أين..." وبدأت إخطارات الأحزاب الجدية تترى وخيل إلينا أن مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه ألف حزب سياسى من أجل كراسى الحكم...

وأحصينا الرقم الأخير فوجدنا أن هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر, تقدم كل واحد منهم بإخطار عن حزب جديد, وبينهم زعماء لم يسمع بهم أحد.. وكأن الأرض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب.

مبادئ من كل لون, وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها متشابهة بل تكاد تكون نسخة طبق الأصل من بعضها.

وجلسنا نفكر, هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية العربية؟..

وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية العربية إلى نهايتها؟ ومن هم؟!

ما هو ماضيهم؟!.. ما هو كفاحهم؟!

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى رأس "رشاد مهنا" بالتحديد, ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه, فيذهب إلى مسجد السيدة ليصلى الفجر "حاضرا" ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر "حاضرا" مرة واحدة من قبل!

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة, فقد كنا نتوقع أن يذهب كرسى "العرش" بلب "رشاد مهنا" إلى حد ما.. لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يأمر إدارة قصر عابدين بإعداد العدة لقيامه برحلة إلى واحة سيوة, وكانت الأوامر التى أصدرها "رشاد" تطابق تماما الأوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الأحوال.. سيارات من جميع الماركات والأشكال وحاشية وخدم ومصاريف.. وعندما بلغنا النبأ نظرنا إلى بعضنا وقلنا:

– الله.. إيه الحكاية!

كنا نعرف أن "رشاد مهنا" لا يؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها, لكننا لم نكن نتوقع أبدا أن يعين "رشاد مهنا" نفسه ملكا هكذا ببساطة... وكأن طرد "فاروق" كان حبرا على ورق..

ويبدو أن سراى عابدين ومناظرها والأبهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و "الجو" الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح, كل هذا قد ذهب بلب "رشاد مهنا" فطار عقله ونسى أنه ليس من أسرة "محمد على".

ويبدو أيضاً أن سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم البلاد.. وأذكر أن "جمال عبد الناصر" فى أبريل عام 1954 كان يجلس فى مكتب اللواء "نجيب" بعابدين, وقال "جمال" للواء "نجيب":

– أنا حاسس إن القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه, فإيه رأيك.. تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر, ونخلى القصر ده متحف؟

ورد اللواء "نجيب" على "جمال" قائلا بالنص:

– يا سيدى.. ما شؤم إلا الشؤم.

وسكت "جمال"...

أنا أملك وأحكم

وأعود إلى الموضوع.. إلى "الهيصة" فأقول: إن الأمور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة "رشاد" الملكية إلى سيوة, ففى ذات يوم استدعى "رشاد مهنا" اللواء "نجيب" إلى مكتبه, فى عابدين, وفى حضور "سليمان حافظ" أخذ "رشاد مهنا" يعنفه, وكان "رشاد" وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب:

– أنا لا أسمح بهذا, ولا أرضى بذلك, ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا:

– أنا مش زى "فاروق".. أنا هنا أملك وأحكم!

وكانت مفاجأة أخرى لنا.. فنحن نعمل ليلا ونهارا من أجل إعداد خطوات الثورة العربية المصرية, و"رشاد" فى قصر عابدين يصرخ ويريد أن يملك ويحكم.

ولم يقف طموح "رشاد مهنا" عند حده, وبدأ يصطدم بنا.

حدث أن الملك المخلوع كان قد اغتصب– كالعادة– سيارات تابعة للجيش, وبعد الثورة طلبت إدارة الجيش من سراى عابدين تلك السيارات إلى وحداتها, وفوجئنا بأن "مولانا" "رشاد مهنا" يرفض إعادة تلك السيارات.. وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وأن البلاد توشك أن ترى ملكا جديدا من أسرة أخرى غير أسرة "محمد على".

يد الثورة تنقذ الموقف

أمام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار اجتماعا سريعا, أصدرت فيه قرارا بإقالة "رشاد مهنا" من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالأمير السابق "محمد عبد المنعم" فى مقعد الوصاية إلى أن يبت فى مسألة العرش, وكنا قد أجلنا هذه العملية إلى أن تأتى الفرصة المناسبة.

وخرج "رشاد" من قصر عابدين إلى بيته وذهب إليه "جمال عبد الناصر" وعرض عليه فى كرم شديد أن يختار لنفسه أى منصب فى السلك الدبلوماسى لكن "رشاد" رفض.. كان يريد أن يظل ملكا على البلاد.

وبدأ "رشاد" ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه.. فبدأ يتصل بالأحزاب وبالإخوان بصفة خاصة, وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم, ورأى الوفد فى خروج "رشاد مهنا" فرصة ذهبية وظنوا– جميعا– أن وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة لهذا كبر الأمل فى صدورهم واعتقدوا– جميعا– أن رشاد هو منقذهم من الثورة...

تكتل الإقطاع مع "رشاد مهنا".

وحدث ما كان لابد أن يحدث... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل أعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها.. وقد حدث فعلا, أن لاحظنا بوادر هذا التكتل... الأحزاب والإقطاع و"رشاد"– جميعاً– بدءوا يتحفزون للقضاء على الثورة... وتتابعت الأحداث ورأينا أن حسن نية الثورة قد يقضى عليها, كما رأينا أن عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وإيماننا بكل مصرى مخلص يريد أن يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته, كل هذا قد يطيح.. لا بالثورة,– فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها–... بل قد يطيح بكل ما صنعناه نحن من أحداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب.

أحسسنا أن تكتل تجار السياسة مع "رشاد مهنا", ومع الإخوان ومع الإقطاع, قد يعطل من سير الثورة, وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه... وفى مثل هذه الحالات يبدو الأمر مضحكا إذا لم نضرب بيد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع.

وجاء يناير عام 1953, وكان قد مضى على الثورة ستة أشهر, فوجدنا أنفسنا أمام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء وتظهر لنا الود فى العلن... وجدنا أنفسنا أمام أحزاب تريد طعننا فى الخلف, وأفراد ينشطون فى الظلام لحساب الإقطاع, و"رشاد" والرجعية المصرية المتحجرة.. وكنا فى واد وجميع الأحزاب والهيئات فى واد آخر... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على أكفنا من أجل هذه الثورة المصرية التى بدأت زحفها منذ يوليو... وهم ماذا كانوا يريدون؟!

من يحتاج إلى العدل؟

هل كانوا يريدون الحرية؟!

هل كانوا يريدون العدالة.. فى الريف والحضر؟!

هل تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام؟!

وأن كانوا إذن قبل أن نصنع ما صنعنا؟!

ومن هم؟!... هذا هو السؤال...

إن الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين, وتدفعهم الحاجة إليها دفعا إلى العمل على تحقيقها.. أما أن يطالب إقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام.. فهذا أمر يبدو مضحكا... بل ويدعو إلى السخط الشديد.

فهو ليس فى حاجة إلى عدل ولا ألى حق ولا إلى سلام... هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر.. إذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع "رشاد مهنا" لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة, ولا عودة الحق والعدل والسلام.. فتلك أشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب– جميعاً– ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة... بل وسحق الذين يقفون إلى جوارهم فى انتظار الجريمة... ولكن الجريمة لم تقع... فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها, فانتهى الأمر بمحاكمة "رشاد مهنا", وإلغاء الأحزاب... وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير عام 1953 وتنتهى فى يناير عام 1956...

أسقطنا الدستور الإقطاعى

ضربت الثورة– كما قلت– بقبضتها الحديدية فألغت الأحزاب وحددت فترة انتقال, وذلك عندما ظل عليها خطر التكتل الذى تم بين "رشاد مهنا" والإقطاع, والإخوان والأحزاب.. وكان حتما على الثورة أن تضرب هؤلاء الأعداء منذ اللحظة الأولى التى خرج فيها كبيرهم "فاروق" من البلاد... فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد– ثورة– كما ذكرت, بل كان هدفها دوما هو الحكم والسيطرة على الشعب, لصالح القصر والنظام الذى كان قائما. هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى... فالثورة– أى ثورة– لا يعقل أبداً أن يتولى توجيهها نحو أهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا– على الإطلاق– فى قيامها أو فى التمهيد لها... بل على العكس كانت الثورة المصرية– التى تهدف إلى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى, وتصنيع المجتمع الإقطاعى المهلهل– لا تجد فى واحد من رجال الأحزاب عونا لها قبل أن تقوم, فكيف يمكن لهذه الثورة أن تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد أن قامت فعلا وبعد أن بدأت تزحف على أعداء الشعب؟

هل كانت الثورة الروسية أو الصينية تنجح لو أن رجالها لجأوا إلى السياسيين القدامى وعهدوا إليهم بتوجيه الثورة. وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها؟! يترهبـــون ويطلقـــون لحاهم, أو ماذا يصنعون؟...

كنا- إذن- على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها, قبل أن تتم على أيدى رجال الأحزاب, و"رشاد مهنا" وباشوات البلاد... ومشعوذيها!

إن إلغاء الأحزاب المصرية بعد يوليو عام 1952, كان عملا ثوريا ينبغ من أصـــول الثورة المصرية.. ومن اتجاهها الإنسانى الشعبى.

فلم يحدث فى تاريخ الثورات أن قام جماعة من الناس بثورة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والإقطاع... ثم تركوا- الثورة- وهى لم تزل وليدة لم تقف بعــد علـــى قـــدميها للرجعيين والإقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا.. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت إلغاء الأحزاب, وتحديد فترة انتقال وإسقاط الدستور...

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد أن طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر- الملك السابق "فـــاروق"- إننا نحمى الدستور.. وكن فعلا نعنى ما نقول, لكن الأحزاب المصرية وليدة النظـــام الملكـــى الإقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها, فطالبت بالحكم وبإجراء انتخابـــات... أى بدفن الثورة المصرية فى أعماق الأرض, ليبقوا هم سادة للعباد والشعب- حيـــث- هـــو فـــى الحضيض يمرض ويجوع ويموت... هذا شئ لا يعنيهم, فسراج الدين وغيره من قادة "الشعب" فى عهد "فاروق" يريد أن يحكم... ويحكم, أما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القـــادة الكبار ليسوا فى حاجة إلى شئ منها, فالعدالة الحرية والنور أشياء موجودة فى حياته هـــو... فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون, إنه يملك كل شئ وليس فى حاجة إلى شئ... فقـــط هـــو يريد أن يحكم العباد, فإذا لم يستطع فالأمر إذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر... وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الأبيض على أعداء الشعب, أن نتردد ألف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية, فكما قلت من قبل كنا لا نريد أن نخوض معارك دموية ما دامت الثورة تستطيع استرداد الأرض من الإقطاعى بالحسنى, حتى إذا لم يخضع لمشيئة الثورة, كنا فى حل من استعمل القوة: ذلك كان قانون الثورة... وكل ثورة سواء أكانت فى مصر أم فـــى آخر الدنيا...

وأعود إلى الدستور... كنا نعنى- كما قلت- أن الثورة تحمى الدستور, والدستور الذى وضع للبلاد فى أبريل عام 1923 يتكون من 170 مادة وتنص المادة الأولى منه على أن "مصر دولة مستقلة ذات سيادة, وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شئ منه, وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى".

ذلك هو نص المادة الأولى من ذلك الدستور, وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين, وتريد أن يتعاون معه كل الناس وعندما مدت الثورة يدها للأحزاب ثم طالبت تلك الأحزاب بأن تثور أيضاً مثلما ثار تنظيم الضباط الأحرار تبين للثورة خطؤها, وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلاً.. لولا أن ضربت- كما قلت- بيدها الحديدية, فلم تتم الجريمة.. وانتهى الأمر بحل الأحزاب ومحاكمة "رشاد مهنا"... وكذلك بإسقاط الدستور.

كنا نريد أن نتعاون إذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود, ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى إعداد خطوات الثورة, بنفس حماسنا وبنفس فهمنا للثورات... وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده... وعندما تراجع رجال الأحزاب وفضوا أن يثوروا مثلنا, رأينا أن نعيد النظر فى خططنا.. رأينا أن نعتمد على أنفسنا, وعرفنا فى الحال أن الثورة لا يمكن على الإطلاق أن تنجح بغير رجالها, هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها, وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين وأعداء التطور.

لا ثورة بلا ثوار...

كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه, عندما مددنا أيدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا, فأرادوا أن يحكموا ثم رأينا أن الدستور الذى يأخذ علينا أعداء الثورة إسقاطه... يحمى النظام الملكى كما ذكرت, ويحمى مالك الأرض وسيد العباد... وتناقشنا فترة ليست قصيرة, حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الأولى.. القضاء على تاج "محمد على", وعلى تيجان باشوات مصر فى الريف...

اللواء "نجيب" يعارض

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا- وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام- أن بقاء دستور 1923 ليس فى مضمون الثورة على الإطلاق.. فهى ثورة اجتماعية قبل كل شئ... ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا أمر يتنافى مع الدستور, وكذلك طرد

الملك وإسقاط النظام القائم أمر لا يجيزه الدستور أيضاً, فكيف إذن نبقى عليه؟ ومواده الباقية تحمى الأحزاب ورجالها: الذين هم أعداء للثورة والذين بدءوا يتآمرون عليها؟!

وكان لابد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور, ثم بعد ذلك تضع الثورة دستوراً ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شئ... فقد كان من أسس ثورتنا القضاء على سيطرة رأس المال وعلى جهاز الحكم, وأعلن عن هذا المبدأ فى منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة بزمن طويل, ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس "جمال عبد الناصر" ضمن مبادئ الثورة الستة... فكيف كان إذن يمكننا الإبقاء على الدستور, وكثيرا جداً من مواده يتعارض مع أهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة؟!

وقد كان اللواء "نجيب" يعارض فى أسقاط الدستور مثل باقى الأحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة, ثم ما لبث نجيب أن وافق على رأينا.. تماماً مثلما حدث عندما قررنا إلغاء النظام الملكى, فقد عارض اللواء "نجيب" فى هذا أيضاً ثم خرجت وعقدت مؤتمراً صحفياً فى خيمة الحرس أمام المنزل وأذعت من هناك البيان.

تلك كانت قصة إسقاط الدستور... ففى مصر ثورة ولها أهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال أمامها.. وهنا أيضا- تمتد يد الثورة لتهدم الجدار... ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها, دستوراً يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة, ويحفظ للشعب كل كسب يحصل عليه من أعدائه... وقد كان دستور 1923 يحمى مكاسب أعداء الشعب فقط!

مقاييس اليوم ومقاييس الأمس

أعتقد أن المصلحة العامة, تقضى بوضع النقط على الحروف, ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل, وتختلط عليهم بعض الأمور أن المقاييس التى اعتادها الناس فى العهود الماضية, لم تعد تصلح لهذا العهد, ولم تعد متفقة مع السرعة التى دارت بها عجلة الزمان.

إن مصر اليوم, ومنذ أكثر من ست سنوات تعيش فى ثورة, والثورة التى انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن إرادته, لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر, ولم تكن ثورة على فرد دون سواه, وإنما هى ثورة شاملة على كل عنصر من عناصر الفساد... أيا كان... وأينما كان...

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر, عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها, ومجتمعين تحت راية المبادئ السامية التى أعلنوا عنها منذ 23 يوليـو سـنة 1952, ومازالوا يلتفون حولها ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وإيمان, وقد تبينت متانـة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظـة الحاسـمة التـى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح الفشل, أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادئ وأعواد المشانق, فكانت وقفتهم المجيدة صف واحدا, وكتلة متراصة هى حجر الزاوية فيمـا حققـوا لبلادهم من عزة ومجد.

لقد اجتمعوا إذن على مبادئ لا علاقة لها بالأشخاص, ولا صلة لها بالرابطـة التـى كانت تجمع الأحزاب المنحلة البائدة, رابطة الغنائم والأسلاب.

ومثل هذه الرابطة, رابطة المبادئ المجردة من المطامع والأسلاب لا يسهل ولا يمـن أن تنفصم, وليس من الميسور- ولا من الممكن- أن تنقطع أواصر العلاقات الشخصية التـى تقوم على هذه الرابطة النبيلة, مهما يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر, وذلـك لأن جوهر الخلاف لا يتعلق بنزاع على مغنم, أو تهافت على منصب.

قد يحث- بل لابد أن يحدث بين أفراد أية جماعات من الناس- تباين فى زوايا النظر إلى مسألة معينة أو أكثر, ولكن هذا التباين بين أفراد وحدت بينهم المبادئ السامية لا يمكن أن يفض ما بينهم من رباط مقدس, فهذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهر الذى لا تنفصم عروته, وأما الخلاف, وتباين وجهات النظر فهو عرض لا يمكن أن ينال من روعة الجوهر.

على ضوء هذا التحليل الواقعى الواضح, يجب أن يطبق الناس مقاييس جديـدة فـى الحكم على تطور الحوادث فى عهد الثورة, وقد انتهى الزمن الذى كانـت فيـه الاعتبـارات الشخصية, والمنافسات الحزبية هى المقياس أو المفتاح الذى يفسر مظاهر الوحدة والخـلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد.

إن كل فرد فى هذا العهد الثائر لا يشغل نفسه ولا يشغل الرأى العام بالمكـان الـذى يحتله, والمغنم الذى يكسبه, والصف الذى يوضع فيه, وإنما يقف وقفة الجندى الـذى يـؤمن واجبه أيا كان مكانه بين الجنود العاملين.

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهود الحكم, ولكنه أحد المقـاييس التى لا يصلح سواها للحكم على الأشياء والأحداث فى هذه الأيام.

الـــفـــهـــرس الـصـفحة